بعود ثقاب تنتهي القصة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: بعود ثقاب تنتهي القصة

اسم المؤلف: محمود جوخة

التدقيق اللغوي: منى الضايع

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٢٠٧٣ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٣٣٤-٣-٦

مسار للنشر و التوزيع

Massar publishing & Distribution

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

01020439639

massar.pub1@gmail.com

بعود ثقاب تنتهي القصة

محمود جوخة

مسار
للنشر والتوزيع
Masaar publishing & Distribution

إِهْدَاء

لكل قارئ اختار كتابي

لدار مسار للنشر والتوزيع وجميع فريق العمل

لأمي وأبي وأخوتي أدامهم الله وحفظهم لي

لزوجتي الغالية حفظها الله وأدامها لقلبي.

المقدّمة

عليـنا ألّا نتسرّع في أفعالنا لأنها ستكلّفنا الكثير، بل يجب أن ننفذ كلّ خطوة بعد تفكير عميق قد تمت دراسته جيداً وإلا سوف نندم.

-١-

نمضي أياماً عصيبة بين العائلة فدائماً ما أتجادل مع زوجي آدم بسبب تأخره عن المنزل حيث يتركني مع الأولاد لوقت متأخر من الليل بحجّة أن لديه مريض أوحالة إسعاف اضطرارية أوعملية جراحية، يعمل ليلاً نهاراً في المستشفى كطبيب أخصائي جراحة عامة، اشتاق له كثيراً والأولاد كذلك يشتاقون لرؤيته أيضاً، فدائماً يذهب لعمله عند الثامنة صباحاً ولا يعود إلا لبعد منتصف الليل وأحياناً يضطر للبقاء حتى صباح اليوم التالي، أخاف البقاء وحيدة لوقت متأخر ، دائماً ما يذهبون الأولاد للنوم باكراً بسبب مدارسهم في الصباح، أبقى جالسةً وحدي بجانب النافورة وسط أرض الديار (ساحة المنزل) لكنّ أهالي سوريا غالباً ما يطلقون عليها بذاك الإسم.. وغالباً ما يأتي ويراني نائمةً على الكرسي فيوقظني كي أنام في غرفة النوم، وبالفعل كنت قد غفوت لفترة بجانب النافورة إلى أن جاء آدم وأيقظني وراح صاعداً على الدرج قاصداً غرفة النوم ففي المنازل العربية في حلب أغلب المنازل متشابهة وغالباً ما يتواجد بها درج يؤدي إلى غرف النوم في الطابق الثاني.

ف راح يسبقني إلى غرفة النوم كي يرتدي ملابس نومه حتى من غير أن يكلمني.

_ الحمد لله على سلامتك يا آدم، هل أنت جائع، هل أعدُّ لك طعام العشاء.

_ لا يا عزيزتي رغد لست جائع على الإطلاق، كنت قد تناولت بعض الأشياء الخفيفة في مقهى المستشفى، أريد أن أنام فقط فأنا متعب جداً.

_ نوم، نوم، يومياً هكذا يا آدم، أعلم أنك مُتعب من عملك في المستشفى وإنني لأقدّر هذا التعب حقاً، لكن العمل ليس كل شيء في هذه الحياة، هناك عائلة تنتظرك يومياً، هناك زوجة تنتظرك هنا يومياً على الكرسي بجانب تلك النافورة، هناك أولادك الذين يشتاقون إليك ودائماً ما يسألونني عن حالك وعن موعد رجوعك إلى المنزل لكي يروك، إنهم يفتقدونك بشدة يا آدم، على الأقل إسألني أنا عن حالي، كيف أُقضي يومي هنا، هل أنا مريضة أم لا، هل أولادك بخير ويحتاجون لشيء أم لا، كيف وضعهم في المدارس، ألا ينتابك الفضول حقاً حول عائلتك، ومضى الكثير وأنت بعيدٌ جداً، ألا تشتاق إليّ أبداً، أشعر أحياناً بأنك قد بدأت بالإبتعاد عني وكأن حُبّك لي قد بدأ يتلاشى، ألا ترى حقاً كم أنا

حزينة ومتعبة في غيابك.

_ أنتي محقة يا عزيزتي رغد، معكِ كُل الحق في كلامك، أشعر ببعدي عنكم شيئاً فشيئاً مع مرور الأيام سامحيني إن كنت قد قصرت تجاهكم في شيء، أعدك بأنني سأحاول تنظيم وقت عملي كي أقضي معكم وقت أكبر، وأنا أيضاً اشتاق لكِ كثيراً.. أعلم بأنني قد أهملتك، لكن هذا لا يعني بأن حبي لكِ قد بدأ يتلاشى، وأعلم أيضاً أنني أهملت أولادي لكنني أعمل جاهداً ليلاً نهاراً لأجلكم ولكي أوفر لكم معيشة هنيئة ومن أجل مستقبل أولادنا.

_ أنتَ على حق يا عزيزي وأنا أقدّر تعبك من أجلنا جداً لكن أرجوك حاول أن تعدل بين العمل وعائلتك، على الأقل من أجل أولادنا، دائماً أرى في عيونهم حزن بسبب اشتياقهم لك.

_ أعدك يا عزيزتي رغد بأنني سوف أبذل قصارى جهدي كي أصلح الأمور، أحبك جداً.

_ وأنا أحبك أيضاً يا عزيزي، هيّا يجب عليك أن تنام الآن يبدوعليك الإرهاق، فلتنام جيداً أغمض عينيك، تصبح على خير.

_ حسناً سوف أنام الآن، تصبحين على خير يا عزيزتي.

ظللت مستلقيةً على السرير بجانب آدم، أراه قد غطّ في نوم عميق خلال خمس دقائق، أشعر بالحزن عليه أحياناً وفي نفس

الوقت أشعر بالوحدة عند ذهابه طوال اليوم للعمل، إلى متى سوف يستمر هذا الحال يا ترى، أرجوا ألّا يَطول الأمر أكثر من اللازم، إنها الرابعة فجراً ويجب أن أنام كي أصحوا باكراً لأوقظ الأولاد على مدارسهم، أطفأت النور الذي بجانب السرير وغطيت في نوم عميق.

-٢-

أشعر أنها دقائق معدودة منذ أن غطّيتُ في النوم، ما زلت أشعر بالنعاس رأسي ثقيلٌ جداً ويؤلمني ويكاد أن ينفجر، كان آدم قد أيقظني من نومي عند الساعة السادسة صباحاً لكي يخبرني بأنه ذاهبٌ لعمله، ولكي أوقظ الأولاد.

_ أراك قد جهزت نفسك يا آدم، متى استيقظت من النوم، لماذا لم توقظني معك.

_ لم أرغب بمدايقتك يا عزيزتي، لذا تركتك نائمة قليلاً.

_ لا، لن تضايقني بالطبع إن أيقظتني من النوم، ألن تتناول طعام الفطور قبل ذهابك حتى.

_ سوف أتناول طعام الفطور في المستشفى يا عزيزتي، يجب عليّ الذهاب الآن، انتبهي لنفسك جيداً، وقبّلي الأولاد من أجلي، وان احتجتِ لشيء اتصلي بي على الفور.

_ حسناً يا عزيزي، انتبه لنفسك جيداً، وحاول ألا تتأخر وأرجوا ألّا تنسى ما تكلمنا به يا آدم

_ أنسى ماذا، هل تكلمنا في شيء مهم، لا أتذكر.

_ آددم، قلت له بعصبية.

_ قهقه ضاحكاً قائلاً لي، أنا أمازحك فحسب يا عزيزتي، بالطبع لن أنسى، هيا مع السلامة.

_ مع السلامة يا عزيزي.

أغلقت خلفه باب المنزل وذهبت إلى الحمام كي أغسل وجهي ومن ثم ذهبت إلى المطبخ كي أُعدّ طعام الفطور للأولاد قبل ذهابهم إلى المدرسة.

_ أراك قد استيقظت يا يزن، صباح الخير يا بُني.

_ صباح الخير أمي، فزعت من نومي بسبب كابوس مزعج.

_ ما هوهذا الكابوس، اخبرني هيّا.

_ لا أريد أن أحكيه لكِ، ولا أريد أن أتذكّر تفاصيله أيضاً.

_حسناً كما تشاء يا عزيزي، اذهب لغسل وجهك جيداً ثم اذهب وأيقظ أختك نور كي تصحوا وبعدها ارتدي ملابسك المدرسية ريثما أحضّر طعام الفطور لكي تتناول أنت وأختك قبل ذهابكم للمدرسة، ولا تنسى أن تقول لأختك نور أن تجهز نفسها أيضاً وترتدي ملابسها المدرسية كي لا تتأخرو.

_ حسناً يا أمي سأفعل ما أمرتني به، لكني أريد أن أحدثك في موضوع مهم يقلقني.

_ ما هو الموضوع يا بُني، أخبرني ماذا بك.

_ ليس الآن يا أمي، سأذهب لأوقظ نور ثم أرتدي ملابسي المدرسية وأحدثك خلال تناول طعام الفطور.

ذهب يزن وانشغل تفكيري به، ما الذي يشغل تفكيره ويقلقه يا ترى، أرجوا ألا يكون الأمر خطيراً.

ما إن انتهيت من تحضير طعام الفطور ووضعه على الطاولة بجانب النافورة وسط المنزل حتى رأيتهم ينزلون من على الدرج مرتديين ملابسهم المدرسية، نور تبدوبحالة جيدة لكن وجه يزن يبدوعليه الحزن والقلق.

_صباح الخير يا أمي سلمت يداكي على طعام الفطور، قالت نور.

_ صباح الخير يا ابنتي، هيا اجلسوا وتناولوفطوركم كي لا تتأخروا، وأنت يا يزن أخبرني بما يشغل تفكيرك يا بني.

_لاحقاً يا أمي، ليس الآن.

_ لماذا لاحقاً هيّا عليك إخباري ألم تقل لي بأنك ستخبرني أثناء

تناول طعام الفطور.

نظر بعينيه إلى اخته نور بتوتر، ثم أعاد نظره إليّ.

_حسناً تناولا فطوركما الآن سوف نتكلم لاحقاً يا يزن.

عند تمام السابعة وخمس دقائق صباحاً كنا قد انتهينا من طعام الفطور ونهضنا من على المائدة.

_ نور، هيّا إغسلي يديكي جيداً ثم ارتدي حذاءك وانتظري أخاكِ أمام باب المنزل.

_حسناً يا أمي، وداعاً إذاً.

نظرت إلى يزن متلهفةً لمعرفة الموضوع الذي يشغل تفكيره.

_ أخبرني الآن يا بني، ما الأمر.

_ لم يعد لديّ رغبة بالذهاب إلى المدرسة يا أمي، لقد كرهتها جداً وكرهت كل من فيها.

_ لماذا أخبرني هل هناك من يضايقك.

_ دائما ما أتعرض للسخرية والتنمر من قبل أصدقائي وطلّاب المدرسة بسبب الوحمة الحمراء الكبيرة على وجهي.

_ يزن بُني العزيز أما حان الوقت لكي تواجه من يتصرّفون

معك بسوء، لقد أصبحت شاباً وأنت الآن بالسادسة عشرة من عمرك، واعتقد أن أشخاصاً كهؤلاء يجب عليك ألَا تتأثر بكلامهم، حتى إنك أجمل شاب قد رأيته يا بُني، بطولك الرائع هذا وعيناك السوداوتين اللتان تلمعان كاللؤلؤ، أما عن الوحمة الذي في وجهك فهي هبةٌ من الله قد أعطاك إياها، قُل الحمد لله دائماً يا بني، ولا تخجل مما أعطاك الله إياه، أعتقد قريباً أنك ستحظى بالكثير من إعجاب الفتيات من حولك لقد أصبحت شاباً، أرجوك بألّا تشغل تفكيرك بشيء، وهناك أمرٌ آخر يا يزن، أعتقد أن اختيارك لأصدقاؤك خاطئ، فما من صديق حقيقي قد يتنمّر على صديقه أويجرحه بكلامه أوحتى يسخر منه، عليك بالحصول على صديقٌ حقيقي، صديقٌ وفي.

_ الحمد لله دائماً يا أمي، لكني لا أتحمّل هذا التنمّر، لا أعلم ماذا عليّ أن أفعل، وعن أي فتيات تتحدثين يا أمي ووجهي هكذا، أرى أنكِ تبالغين في كلامك.

_لم أبالغ في كلامي يا يزن على الإطلاق، كن واثقاً بنفسك فقط، وسترى كيف ستصبح أمورك بخير وعلى ما يرام، وتجاهل كل من يوجّه لك كلاماً سيئاً أو يسخر منك.

_حسناً يا أمي سأحاول، أعتقد أن عليّ الذهاب الآن فأختي نور

تنتظرني عند باب المنزل ولقد تأخرت عليها.

_ اعتني بنفسك جيداً يا عزيزي، واعتني بأختك نور أيضاً، مع السلامة يا بني حفظكم الله.

-٣-

عندما خرجت من صفّي كي أذهب لدورة المياه في منتصف الدوام داخل المدرسة صادفت تيم واقفاً في آخر الممر عند أعلى الدرج أعتقد أنه عوقِب من قِبل مُدرّسهُ وطرده خارج الصف كالعادة بسبب مشاغبته وسلوكه فدائماً ما يتحدثون عنه، يعتقد نفسه أنه الأفضل والأقوى في المدرسة وكل الطلاب تهابه، لكنني أراه مجرد طالب عادي يفتقر لحسن السلوك والتعامل مع غيره فالغرور لا يفارقه، فالشيء الوحيد الذي أكرهه بأنه يقطن في المنزل المجاور لنا، والدته تكرهنا بشكل لا يعقل لا أعلم السبب بل إنها تكره جميع السكّان في الشارع، وها هوتيم واقفاً أمامي فمن ينظر لوجهه يفهم جيداً أنه يريد التسبب بمصيبة. مررت من أمامه وإذ بدأ يعترض طريقي.

ـ تيم أرجوك كُفَّ بلاك عني وابتعد من طريقي أريد الذهاب إلى دورة المياه.

ـ هل فعلتها على نفسك أيها المَسخْ. (قالها تيم وبدأ يضحك بسخرية عليه).

ـ لا تناديني بالمَسخ أيها المغرور، ابتعد عن طريقي الآن.

ـ حسناً لا تبكي سأسمح لك بالمرور لكن سأجعلك تنتظر قليلاً لتفعلها على نفسك. قالها بطريقةٌ ساخرة وهويضحك.

خلال هذه اللحظة لم أتمالك أعصابي فقمت بالصراخ في وجهه وقمت بشتمه، فانتفض خوفاً بسبب صوتي وانزلقت قدمه فسقط من أعلى الدرج وبدأ بالصراخ بأعلى صوته فما هي إلا دقائق معدودة حتى تجمّع الطلّاب والمدرّسون من حولنا، جميع الطلّاب ينظرون إليّ وهم يتهامسون فيما بينهم وكأنهم يلقون التّهمة عليّ، بدأ المدير بالصراخ على الطلّاب للتوجّه إلى صفوفهم في الحال وطلب من المدرّسون البقاء بجانبي وتيم أيضاً ريثما يذهب إلى غرفته لطلب الإسعاف ونقل تيم إلى المستشفى، وبعد مُضي ما يعادل النصف ساعة وصلت سيارة الإسعاف.

ـ ابتعدوا لو سمحتوا أرجوا أن تفسحوا لنا الطريق لنقل المريض (رجال الإسعاف قائلين).

لن أنسى هذا الموقف طوال حياتي رغم أنني لست من تسبب في سقوط تيم، ها هم رجال الإسعاف يجهّزون النقّالة كي يحملون بها تيم إلى سيارة الإسعاف ومن ثم إلى المستشفى، وعند نزولهم الدرّج سمعنا صوت الصراخ يدوي في أنحاء الممر، إنها والدة تيم قد

وصلت، لقد اتصل بها المدير على الأغلب ليخبرها بما حصلَ لإبنها فلا بد أنها كانت قريبة من المدرسة حتى وصلت بهذه السرعة.

ـ إنه يزن يا أمي يزن من فَعلَ هذا بي، (قالها تيم وهو على النقّالة أثناء خروجه من بوّابة المدرسة).

ـ أرجوكي هدئي من روعك يا سيدة إنه مجرد حادث (تمتم المدير قائلاً لها).

ـ عن أي حادث تتحدث أيها المدير، نظرت نحوي والدته كادت أن تقضي عليّ بنظراتها، فما إن رأتني حتى عرفتني على الفور.

ـ إنه أنتَ أيها المَسخ المجنون، سوف أقتلك الآن.

ركضت نحوي ثائرةً وكادت أن تنقضّ علي لولا أن المدير والمدرّس أوقفاها وحاولا إبعادها عني.

ـ سوف أعود لأقتلك أيها المَسخ تذكّر كلامي جيداً.

أفلتت نفسها من يد المدير والمدرّس وتوجّهت نحوالبوابة الخارجية لتلحق بإبنها إلى المستشفى.

بدأ شعور الخوف والقلق يتملّكني وبدأتُ بالبكاء بشدة فأمسك المدير بيدي وطلب مني الذهاب معه لغرفته وحاول أن يهدئني.

ـ اجلس هنا يا بُني تمالك نفسك واخبرني بما حصل بالضّبط.

قبل أن أتحدث طُرِقَ الباب فنطق المدير.

ـ تفضّل.

إنها أمي، ركضتُّ نحوها باكياً وعانقتها بشدة، لا بد أن المدير قد اتصل بها هي أيضاً أثناء وقوع الحادثة.

ـ أرجوك كُفَّ عن البكاء يا يزن، ما الذي جرى يا بُني أخبرني الآن.

ـ أهلاً بكِ أيتها السيدة تفضّلي بالجلوس من فضلك.

ـ أهلا بِكْ أيها المدير أخبرني بما جرى أرجوك.

جلسنا أنا وأمي بجانب بعض أمام المدير وبقيتُ ماسكاً بيدها والدموع في عيني.

ـ إنها مجرد حادثة وسوف يشرح لنا يزن كل ما جرى الآن.

تمالكت نفسي بصعوبة وعدّلتُ جلستي وحاولت أن أتذكّر الحادثة لأقصّها عليهم.

ـ كنت خارجاً من الصف قاصداً دورة المياه ورأيت تيم واقفاً عند الدرج وحاول أن يعترض طريقي وبدأ بالسخرية مني وأصبح ينتعني كما نعتتني والدته منذ قليل كما سَمِعت (بالمَسخ)، ثمَّ لم أتمالك نفسي عندما تعرضّت للسخرية وبدأت بالصراخ في وجهه

فانتفض فجأة وانزلقت قدمه وسقطَ، أُقسم أنني لم أدفعه ولم أسبب له الأذى ولا أعلم لماذا اتهمني تيم بذلك، أرجوكي صدقيني يا أمي لم أفعل شيئاً.

ـ كفى بكاءاً يا بُني فأنا أصدّقك، ما الذي سيحصل الآن أيها المدير.

ـ لا أعلم، سنرى وضع تيم أولاً ومن ثم يجب أن أتكلّم معه وعندها سنقرر.

-٤-

كنت جالسةً في غرفة المعيشة أُسلي نفسي في مشاهدة التلفاز لكنّ عقلي مشوش جداً لا يستوعب أي شيء، فما مررنا به اليوم كان صعباً وبالأخص ليزن، قاطع أفكاري آدم حينما فتح الباب ودَلَفَ إلى الداخل.

_ آدم، ما الذي جعلك تعود إلى المنزل في هذا الوقت، هل من مشكلة.

_ لا يا عزيزتي ليس هناك أية مشاكل، لكني قد وعدتك بأنني سوف أحاول التنسيق بين عائلتي وعملي، لقد رتّبت الأمور مع مدير المستشفى، ومن اليوم فصاعداً لن أتأخر في الرجوع إلى المنزل.

_ سعيدة جداً لسماع هذا الكلام يا عزيزي.

_ لكن لا يبدوأنكِ قد سُعِدتي بهذا الخبر، أأنتي بخير يا رغد، يبدوعليك القلق.

_ كنت سأحكي لك كل شيء عندما تعود من عملك، إذهب وبدّل ملابسك ريثما أحضّر العشاء.

ـ لا أريد أن أتناول العشاء، اخبريني ما الذي حصل.

ـ حسناً سأخبرك يا آدم، اذهب الآن وبدّل ملابسك وأنا سأحضّر القهوة لنشربها سوياً.

بعد مضي حوالي ربع ساعة ذهبت لغرفة المعيشة لم أرى آدم هناك، وضعت القهوة على الطاولة وذهبت لأبحث عنه في غرفة النوم، ذهبت ولم أراه أيضاً، نظرت ناحية باب غرفة نوم الأولاد رأيته يقف بالداخل.

ـ ماذا تفعل عندك يا آدم، انتبه لا توقظهم فلديهم دوام في المدرسة غداً.

ـ لن أوقظهم يا رغد، لكني اشتقت لهم كثيراً قلت لنفسي أن أشاهدهم وهم نائمين.

ـ حسناً تعال الآن ودعهم نائمين تستطيع أن تراهم غداً.

أغلقنا باب غرفة النوم الخاصة بالأولاد ومشينا نحوغرفة المعيشة ثم جلسنا بجانب بعض ومن ثم التقط آدم فنجانه القهوة ثم التفت نحوي رأيت ابتسامته تعلوعلى وجهه وكأنه على وشك أن يقول شيئاً جميلاً رومانسياً، آراه يقترب مني الآن وها هويمسك بيدي، أعتقد أنه سيخبرني بأنه مشتاقاً لي وسيخبرني كم أنه يحبّني، طأطاتُ رأسي خجلاً استعداداً لتلك الكلمات التي سوف يحكيها

لي.

_ اخبريني الآن بكل شيء يا رغد، ما الذي حصل اليوم.

رفعت رأسي مذهولةً منه، لا أعلم هل عليّ أن أضحك على الموقف أم أحزن لأنه لم يعد كالسابق معي، أعتقد بأنني لن أستطيع كتم الضحكة، فدويتُ ضحكة عالية ونظر إلي مندهشاً وسألني.

_ لماذا تضحكين يا رغد، قالها ضاحكاً.

_ لا شيء يا عزيزي آدم تذكرت شيئاً مضحكاً، لا عليك اسمعني الآن سوف أخبرك بما حصل، في الصباح كنت في المنزل وإذ بمدير المدرسة يتصل بي يطلبني حضوريّاً عنده، سألته ما المشكلة قال لي بأن الأمر يتعلّق ب إبننا يزن، تركت كلَّ شيءٍ من يدي وذهبت للمدرسة.

_ وبعدها ما الذي حصل، (آدم).

_ المشكلة أن يزن يتعرّض للتنمّر بشكل دائم من قِبَل أصدقاؤه في المدرسة بسبب الوحمة التي على وجهه، واليوم بالذات تيم قد تنمّر عليه وحاول أن يزعجه عندما كان يزن يحاول الذهاب لدورة المياه وحاول تيم أن يستفزّه فلم يتمالك يزن نفسه وبدأ بالصراخ في وجهه فانتفض تيم خوفاً منه وزلقت قدمه ووقع من أعلى الدرج ومن ثم جاءت الإسعاف وتم نقله إلى المستشفى وبعدها جاءت

والدته وحاولت أن تهجم على يزن لولا أن المدير والمدرّس قد منعاها من الإقتراب، هذا ما أخبرني به يزن وقال لي بأنها توعّدت له بأنها ستنال منه وسوف تقتله، أما مدير المدرسة قرر الانتظار لرؤية تيم والتحدث معه وعندها سوف يتّخذ قراراً.

_ كلُّ هذا قد حصل اليوم وأنا لم يكن لدّي علم.

_ آسفة يا آدم، لكني قد اتصلت بك أكثر من خمسة مرات يا عزيزي ولم ترد على اتصالي.

_ آه صحيح تذكّرت، لم أرى المكالمات إلى عندما خرجت من غرفة العمليّات وبعدها انشغلت ونسيت أن أعاود الإتصال سامحيني، كيف حال تيم إذاً هل هوبخير.

_ لا أدري لم يصلنا أيّة أخبار عنه، (رغد).

_ ويزن، كيف حاله الآن.

_ بخير أيضاً لكنّه حزين جداً يا آدم.

ذُهِلنا عندما طُرق باب المنزل بهمجية فجأةً عندما كُنا نتحادث فيما بيننا أنا وآدم، فَنهضنا سوياً لنرى من في الخارج.

_ من في الخارج. (تمتم آدم قائلاً)

_ افتحوا هذا الباب اللعين الآن وإلا حطّمته.

ـ إنها والدة تيم افتح لها الباب يا آدم.

ما إن فتح آدم الباب حتى انقضّت عليه والدة تيم وبدأت بالصراخ بصوت عالي حتّى أن الأولاد كانوا قد خرجوا من غرفهم متوترين فنزلومن الأعلى ينادونني من الخلف، وفي هذه اللحظة قد رأت تلك المرأة يزن.

ـ لقد قضيت على مستقبل ولدي أيها المَسخ المجنون سوف أقتلك بيديّ (تمتمت والدة تيم موجّهةً كلامها ليزن).

ـ احفظي لسانك أيتها السيدة ولا تغلطي بحق ولدي (آدم).

ـ هدئي من روعك يا سيدة، ولدي يزن لم يؤذي تيم على الإطلاق لقد سقط وحده من أعلى الدرج. أجبتها قائلةً

ـ أنتم كاذبون ومخادعون أيضاً سوف أحاسبكم جميعاً وسوف تنال عقابك أيها المَسخ تذكر كلامي جيداً.

ـ هيّا يا آدم ادخل واغلق الباب الآن فهذه السيدة يصعُب التفاهُم معها. طلبت ذلك من آدم.

دخلنا وتركنا والدة تيم في الخارج بكامل غضبها، ظلّت تطرق على الباب وتصرخ كالمجانين حتى انتبه إليها بقيّة الجيران، بقيت هكذا حوالي الخمس دقائق ثم ذهبت.

_ هيّا أيها الأولاد عودوا إلى النوم بسرعة ليس هناك ما تقلقوا بشأنه.

_ ما الذي سنفعله يا آدم، لقد بدأت أخاف من هذه السيدة أن تفعل شيئاً ليزن، ما الذي علينا فعله.

_ اسمعيني جيداً يا رغد، هذه السيدة والدة تيم مريضةٌ نفسية ومجنونة والجميع يعلم هذا، إن طباعها سيئة جداً لم أقابلها أبداً لكني قد سمعت هذا من شخص يدعى علاء يسكن في نفس الشارع كان قد زارني ذات يوم في المستشفى ومعه إبنه، أتعلمين أن تلك المرأة المجنونة قد تسبَّبت في كسر يد إبنه لمجرد أنها سمعت ولده يشتم تيم.

_ ما هذا الذي اسمعه يا آدم، لم أكن على علم بتلك الحادثة على الإطلاق ولم أكن على علمٍ أيضاً بجنون هذه المرأة..

_ أرجوكي كوني حَذِرة يا رغد فهذه المرأة خطيرة ولا تقتربي منها على الإطلاق وانتبهي للأولاد جيداً.

_ لا تقلق سوف أنتبه جيداً، لكن ماذا كانت تقصد بأن يزن قد قضى على مستقبل تيم، هل تعتقد أن تيم قد أصابه مكروه، يجب علينا أن نطمئن على حاله بدأت أقلق عليه يا آدم، سوف أذهب غداً إلى المستشفى كي أطمئن عليه.

_ لا نعلم بعد ما الذي حدث لتيم، لكنك لست مضطرة للذهاب للمستشفى يا رغد ، ففي النهاية يزن لم يفعل شيئاً.

_ أعلم ذلك لكن يجب أن أذهب وأطمئن عليه بدأت أشعر بالقلق حياله جداً.

_ حسناً سنذهب سوياً غداً يا عزيزتي أخاف من أن تقابلي هذه السيدة مرةً أخرى.

_ لا تقلق يا آدم وليس هناك داع لترك عملك والذهاب معي، سأحاول الذهاب لتيم عندما تكوًن والدته في المنزل لا تقلق، سأطمئن عليه فقط وأعود.

_ لكِ ذلك يا عزيزتي، والآن ما الذي سنفعله من أجل يزن هل سيبقى هكذا، أرجوكي اقنعيه بأن أُجري له عملية تجميل لأحاول إزالة الوحمة كي يتجنب مثل هذه الأمور ويعيش حياة طبيعية كغيرُه.

_ عزيزي آدم أظن أننا لقد تكلّمنا معه أنا وأنت سابقاً في هذا الموضوع وأنت تعلم رفضه لهذه العملية بشكل متكرر، دائماً يكرر نفس الجواب، إنه راض عمّا رزقه الله إيّاه ولا يريد أن يغيّر من ملامحه شيئاً ، لكن أتعلمً يا آدم أنّ قناعةَ يزن في مكانها يجب دائماً أن نقبل بما وهبنا الله من نِعَم.

ـ معك كل الحق يا رغد فيما قلتي، لكنَّ يزن الآن في موقف صعب ويتعرّض للسخرية من رفاقه في المدرسة وأنا متأكد تماماً بكتمان حزنه بداخله الآن، وهذا سوف يأثر على نفسيته جداً، يجب علينا أن نفعل شيئاً حيال هذا الأمر.

ـ لا أعلم ما الذي يجب علينا فعله يا آدم، لكن يجب أن نكون بجانب يزن في هذه الفترة وأن نمدّه بالقوة والطاقة اللازمة، فما زال شاباً مراهقاً إنه بحاجة إلينا الآن أكثر من أي وقت.

ـ ما رأيك بأن نذهب في نزهة في نهاية هذا الإسبوع لكي نُخرج الأولاد من هذه الأجواء قليلاً.

ـ ليس لدي مانع يا عزيزي، سأفعل المستحيل لأجلهم، هيّا يا عزيزي عليك أن تنام كي تصحوا باكراً على عملك.

ـ حسناً يا جميلتي. (آدم)

-٥-

شعرت بيدٍ توقظني من نومي عندما كنت بداخل كابوس فظيع، استيقظت من نومي مفزوعةً مما رأيته بداخل الحلم وصرخت بأعلى صوتي مما أدى إلى استنفارٍ في المنزل، الجميع قد تجمّع من حولي بسرعة، حاول آدم أن يهدئني وطلب من نور إحضار كأساً من المياه.

_ ما الذي جرى لكِ يا أمي هل أنتي بخير. تكلّم يزن والقلق على وجهه.

_ هل أنت بخير يا عزيزتي ما الذي جرى، هل هوكابوسٌ مزعج. آدم متكلماً.

عمَّ الصمت في الغرفة وهنا عليّ استقبال نظرات آدم ويزن وهما ينتظران جوابٍ مني.

_ لماذا تنظرين إليّ هكذا يا أمي. (يزن)

نهضت بأقصى سرعتي وعانقت يزن بكل قوتي وأنا أبكي بشدّةً من هَوَل ما رأيت، هنا دخلت نور وكادت أن تبكي خائفةً.

_ ما الذي يجري يا أبي، لماذا تبكي أمي هل هي بخير ولماذا تعانق أخي بهذه الطريقة. (نور)

_ لا أعلم يا نور يبدوأنها قد رأت أخاكِ في نومها مما جعلها تتأثر جداً. (آدم)

_ أمّي أنتي تخنقينني ما الذي يجري، قالها يزن بصعوبة في التنفّس.

_ آسفةٌ يا عزيزي، حسناً لا عليكم كل مافي الأمر أنني قد رأيت كابوساً مزعجاً، لا تقلقي يا نور فأنا بخير، هيّا أنتما الإثنان إذهبا وجهّزا أنفسكما للذهاب إلى المدرسة.

بقينا أنا وآدم وَحدنا في الغرفة، جلس أمامي وأمسك بيديَّ وحاول تهدئتي وبدأ بالتكلم.

_ ما هذا الكابوس الذي أوصلكِ لهذه الحال أخبريني الآن يا رغد.

_ كابوسٌ مزعجٌ جداً يا آدم، كنت قد رأيت يزن جالساً وسط دائرة ومن حوله النيران تنتشر بسرعة، كان غريب الأطوار جالساً وضامّاً أقدامه إلى صدره ومنحني الرأس لا يتكلّم أبداً وهنا أيقظتني أنت من نومي.

_ إنه كابوسٌ مزعج حقاً، حسناً عليك أن تتجاهليه وحاولي

نسيانه يا عزيزتي فالكابوس يبقى كابوساً، هيّا اذهبي الآن لغسل وجهك، وأنا بدوري سوف أُشرف على الأولاد حتى يغادرون المنزل قاصدين المدرسة وسوف أُعِدُّ لهم طعام الفطور في الحال.

_ ألن تتأخر هكذا على عملك يا آدم.

_ لا يُهم يا رغد، هناك ما هوأهمُّ من عملي الآن، هيّا انهضي من فراشك الآن ريثما أحضّر طعام الفطور.

_ كم أحبّك يا عزيزي.

_ وأنا أيضاً يا جميلتي.

بعد أن قام آدم بتحضير الفطور للأولاد خرجت من الحمام رأيتهم ينتظرونني فطلبت منهم عدم الإنتظار كي لا يتأخرون عن دوامهم في المدرسة وما إن قلت لهم ذلك حتى بدأوبالطعام على الفور، دخلت غرفةَ نومي ثم جهّزت نفسي كي أذهب لأزور تيم وأطمئن على حاله، وعندما انتهيت رأيت آدم داخلاً الغرفة متّجهاً نحوي.

_ هل ذهب الأولاد يا آدم.

_ نعم عندما تناولوا فطورهم ذهبوا على الفور، ماذا بكِ يا عزيزتي أراكِ على غير طبيعتك، هل أنتي بخير، أما زال الكابوس

تاركاً أثر بداخلك.

ـ أنا قلقةٌ على يزن جداً أرجوا ألّا يتعرّض للتنمر والسخرية مرّةً أُخرى فشاباً مثله في مقتبل العمر لن يتحمّل كل هذه الضغوط النفسية يا آدم.

ـ كوني مطمئنة يا رغد أعتقد أن يزن قادراً على أن يواجه من يؤذيه بنفسه.

ـ يجب أن أذهب إلى المستشفى الآن لزيارة تيم قبل ذهاب والدته فكلما ذهبت باكراً كان أفضل.

ـ حسناً يا رغد انتبهي لنفسك جيداً، سوف أُبدّل ملابسي الآن وأذهب لعملي.

عند خروجي من المنزل رأيت جارتنا السيدة هدير تنظر إليَّ بمَكرْ من نافذة منزلها، ابتسمت في وجهها لكنها لم تبادلني الإبتسامة على الإطلاق، تجاهلتها ووقفت في الشارع منتظرةً سيارة الأجرة التي طلبتها قبل خروجي من المنزل واتّجهت نحوالمستشفى الذي كنت قد علمت اسمه من مدير المدرسة.

-٦-

ها أنا الآن أمام المستشفى، دخلت من البوابة متّجهةً نحو موظفة الإستقبال.

_ مرحباً، أريد زيارة المريض (تيم) لقد وصل البارحة لا أعلم اسم عائلته لكنّه شاباً في مقتبل العمر كان قد نُقِل البارحة من مدرسته إلى هنا بسبب تعرضه لحادث.

_ حسناً، سوف أتأكد من الإسم لحظة من فضلك.

انتظرت حوالي ثلاث دقائق ريثما تطلعني موظّفة الاستقبال على موقع إقامة تيم.

_ المريض في الغرفة رقم ١٠٥ الواقعة في الطابق الثاني. (أجابتني موظفة الإستقبال)

شكرتها على حسن معاملتها واتّجهت نحوالطابق الثاني مشيت في الممر الطويل المكتظ بالممرّضين وأهالي المرضى وبقيت أمشي إلى أن رأيت الغرفة رقم ١٠٥، طرقت باب الغرفة فلم يجبني أحد، قررت فتح الباب والدخول، رأيت تيم مستلقياً على السرير شارداً

في النافذة التي تُطل على الشارع، التفت إليّ وتمعّن النظر في عيني.

_ لماذا جئتِ، (تيم قائلاً).

_ أنتَ تعرفني إذاً يا صغيري.

_ نعم أعرفك جيداً فأنا أراكي دائماً في شارع منزلنا، هل نسيتي بأننا جيران، وليكن بعلمك أنا لست صغيراً أيتها السيدة.

_ هدّئ من روعك يا عزيزي، لم آتي إلى هنا لإفتعال المشاكل، جئت لأطمئن عليك فحسب، انظر لقد جلبت لك بعض الورود وأنا قادمة إلى هنا.

قدمت لهُ باقةُ الورود التي كنتُ قد اشتريتها عندما قررت المجيء إلى هنا.

_ ماذا تريدين منّي. (تيم قائلاً)

_ أولاً أرجوا أن تهدئ من روعك يا تيم، ثانياً أعتقد أنه من يجب أن يتّخذ موقفاً هوأنا، هل نسيت ما فعلته ب يزن، أنا وأنت نعلم جيداً بأنك قد سقطت لوحدك من أعلى الدرج وليس يزن من قام بدفعُك.

طأطأ رأسه خجلاً ولم ينبُس ببنت شفّة.

_ انظر إليّ يا تيم، أنا لن أنكر بأن تنمّرك على يزن يُعد شيئاً

بغيضاً، لكن لماذا قمت برمي اللوم كله على يزن، برأيك هل يستحق يزن هذه المعاملة، هل حاول إيذاؤك من قبل، لماذا تكمن له الكره بداخلك هل فقط بسبب الوحمة التي على وجهه، أم لأنه طالبٌ نشيط وناجح في جميع دروسه، انظر إليَّ يا تيم، والدتك قد جاءت البارحة إلينا وحاولت التهجّم على يزن وظلّت تصرخ أمام باب منزلنا لدقائق ومن ثم رحلت، وكانت قد توعدت ليزن بأنها لن تدعه وشأنه، هل تقبل بشيءٍ كهذا يا بُني، هل ترضى بمعاقبة شخصٍ مظلوم لا ذنب له في كلِّ ما حدث لك.

ما إن انتهيت من كلامي حتى بدأ بالبُكاء بشّدة.

_ لماذا تبكي يا عزيزي هوّن عليك حسناً لا بأس.

_ لقد أُصبتُ بالشلل يا سيدة، لقد عاقبني الله بما فعلته مع يزن، إنه لا يستحق معاملة كهذه مني.

صدمت مما قاله تيم وبدأت أفقد تركيزي تدريجياً، كيف لشاباً أن يُشَل من خلال سقوطه من أعلى الدرج.

_ أأنت جادٌ في كلامك يا عزيزي، كيف حصل هذا.

_ أنت تعلمين القصة أعتقد أن يزن قد أخبرك بالحقيقة كاملةً، لكن ما لا يعلمه الآخرون أنني عندما سقطت من أعلى الدرج كنت قد وقعت على ظهري مما أدى إلى كسرٍ في العمود الفقري

فشُلَّت حَرَكتي تماماً.

_ أكاد أُجن مما أسمعه، هل يعقل هذا، آسفة يا عزيزي.

_ أنا من عليه أن يتأسف أيتها السيدة، لا أعلم ماذا عليّ أن أقول الآن فأنا خَجِلٌ منكِ كثيراً أرجوكِ سامحيني وقولي ليزن أن يسامحني أيضاً عندما أتواصل مع مدير المدرسة سأخبره بالحقيقة كي لا يُعاقب يزن على أمرٍ لم يفتعله.

اقتربت من تيم وعانقته بشدّة، لقد كسر خاطري حزنت عليه جداً، حاولت أن أهدئ من روعه وطمأنته بأنه مع العلاج سوف يتحسن قريباً وسوف يرجع للمدرسة ثانيةً.

_ سوف أذهب الآن يا بُني اعتنِ بنفسك جيداً وسأعود من أجلك بالتأكيد، لكن عندي طلبٌ واحد فقط، أرجوا ألّا تُخبر والدتك بأنني جئت إلى هنا.

_ أشكرك على زيارتك يا خالة، لا تقلقي لن أُخبر أمي بمجيئك إلى هنا، أرجوا أن توصلي سلامي ليزن واعتذري منه بالنيابة عني، سأنتظر مجيئك في المرة القادمة.

_ بالطبع سآتي يا تيم، وسوف أوصل سلامك ليزن وسوف أجلبه معي في المرّة القادمة إن أردت ذلك.

_ سوف أفرح بمجيئه جداً يا خالة (نطق تيم مبتسماً).

_ سأدعوا لك يا عزيزي بالشفاء العاجل، سأخرج الآن وأعتقد أنني سآخذ باقة الورود معي في حال جاءت والدتك إلى هنا كي لا تراه وسوف أعطيه للممرضة كي تجلبه لك في وقت آخر وسوف أنبّه عليها بأن تقول أنهم يوزعون الورود على غُرف المرضى بالمجان كي لا تشك في الأمر، والآن مع السلامة يا عزيزي.

_ في حفظ الله يا خالة.

-٧-

عند حلول المساء قررنا الذهاب لمنزل السيدة هدير والدة تيم كي نُعلن وقفتنا بجانبها ونخفف عنها عمّا أصاب ولدها تيم ولكي نجعلها تستوعب الموقف جيداً بأن يزن غير مذنب في هذا الحادث، خرجنا من المنزل جميعاً أنا وزوجي ويزن وبجانبه نور قاصدين منزل السيدة هدير التي تعيش وحدها مع إبنها تيم منذ حوالي الخمس سنوات بعد موت زوجها بمرض تشمّع الكبد بسبب شربه للكحول بكميّات كبيرة، كان معروف في هذه المنطقة بأنه رجلٌ سَكير يفتعل المشاكل دائماً، ما إن توفّي حتى ارتاح منه الجميع إلا عائلته على ما اعتقد،

ـ يزن إبقى بجانبي يا بُني.

ـ سأبقى بجانب نور يا أمي ولست صغيراً لتقلقي عليّ لهذه الدرجة، كما أنني أخبرتك بعدم رغبتي في زيارة منزلهم بعد تهجّم السيدة هدير علينا وبعد اتهام إبنها تيم لي والذي يبغضني ويبغض رؤيتي.

ـ بُني يجب علينا أن نقوم بهذه الزيارة لكي نُصلح الأمور بيننا

وفي الأخص بينك وبين تيم، فوضعهُ الآن يُشفَق عليه جداً ما زال تحت إشراف الأطبّاء في المستشفى كي يُعالج من الشلل الذي أصابه كما أخبرتنا والدتك عندما زارته صباح اليوم، ووالدته وحدها الآن وهي بحاجةٌ لنا (آدم قائلاً ليزن).

وصلنا أمام المنزل ووقفنا جميعاً خلف آدم عند الباب وقام بطرقه، انتظرنا حوالي الخمسُ دقائق حتى فُتِح الباب ورأينا والدة تيم تستقبلنا بوجهٍ عبوس.

_ ماذا تريدون (السيدة هدير قائلةً).

_ مرحباً يا سيدة هدير جئت وزوجي وأولادي للإطمئنان عليكِ وعلى تيم، ألن تستقبلينا.

ظلّت صامتةُ لعدة دقائق حيث أن وجهها كان لا يبشّر بالخير على الإطلاق وتوقعنا أن نُطرد من أمام منزلها لكننا استغربنا من ردّه فعلها و ما هي ثواني حتى فتحت باب المنزل بالكامل وتغيّرت ملامح وجهها على الفور حيث عَلت الإبتسامة عليه، رحّبت بنا وكأننا إحدى عائلاتها.

_ بالطبع، تفضّلوا بالدخول أهلا بكم جميعاً (السيدة هدير قائلة).

_ يا تُرى ما الذي تنوي فعله هذه السيدة بالضبط، تصّرفها

غريبٌ جداً، من يراها عند زيارتها لنا لن يقول بأنها هذه هي السيدة بذاتها، أنا لم أرتاح أبداً لتصرفها على الإطلاق هيّا بنا لنعود. بدأ يهمس الكلام آدم في أذني ط

_ اصمت يا عزيزي سنتحدّث فيما بعد.

دخلنا المنزل جميعاً متّجهين نحوغرفة الضيوف، المنزل قد بدا قديماً كثيراً وجدرانه تسكنه الغبار بشكل واضح واتّضح أن الأشجار في أرض الديار (ساحة المنزل العربي في حلب) قد ذَبُلت تماماً وحتى النافورة تبدومتّسخةً جداً، شعرتُ بعدم الارتياح عند دخولي فطاقة هذه البيت تبدوسلبيةً جداً لا وجود للسعادة هنا على الإطلاق.

_ تفضّلوا بالجلوس سأعود عمّا قريب. (السيدة هدير قائلةً والابتسامة على وجهها).

جلسناً جميعاً على الأرائك في غرفة الضيوف، تبدوجميلة جداً حتى أنها مريحة لكنّ جميع الألوان هنا باهتة، ليس هناك ما يدل على الشعور بالإرتياح أوالسعادة.

_ ما رأيك بهذا الإستقبال يا رغد (آدم).

_ يبدوأنها قد ندمت على فعلتها معنا ويبدوأيضاً أنها كانت مصدومة مما أصاب تيم والآن قد رجعت إلى صوابها.

_ لا أعلم، هذه المرأة ليست على ما يرام، إنني غير مطمئن لتصرفها الهادئ هذا على الإطلاق، سنجلس قليلاً ومن ثم نعود إلى منزلنا (آدم).

_ حسناً يا عزيزي لكَ ذلك.

سوف أنتقم منكم جميعاً وسوف آخذ بثأر ولدي أيها المحتالين، أتظنون أنفسكم إذ جئتم إليّ قاصدين الصُلح أوالمباردة السعيدة فأنتم مخطئون تماماً، سوف أجعلكم تندمون على ما فعلتم بتيم لكن ليس الآن، يجب أن أبقى معكم على تواصل كي أنجز خطّتي بنجاح، سوف أنال منكم وفي الأخص ذلك المَسخ الذي كان سبباً في شلل ولدي تيم (السيدة هدير محدّثةً نفسها في المطبخ).

بقينا حوالي العشرون دقيقة وحدنا جالسين في غرفة الضيوف ننتظر قدوم السيدة هدير، ها هي الآن قادمةٌ من المطبخ حاملةٌ بيدها كاسات العصير متّجهةً نحونا لتقدمه إلينا.

_ لماذا عذبّتي نفسك يا سيدة، جئنا للإطمئنان عليكي وعلى تيم وسنذهب (رغد).

_ ناديني هدير فلا داعي للرسميّات، هذه أول مرّة تزوروني بها و لا يجوز أن تذهبوا دون أن أقدّم لكم شيئاً، وأيضاً منذ زمن لم يزرنا أحد أنا وإبني تيم لذلك أنا سعيدةٌ جداً بوجودكم الآن وآسفةٌ جداً

على تصرّفي الغير اللائق عندما جئت إلى منزلكم، لكني كنت فاقدةً الوعي تقريباً وحزينةٌ جداً على يزن وما زلت، لكنني الآن فهمت كلَّ شيء تيم قد شرح لي الحادث بالتفصيل وبأن يزن غير مذنب.

_ حسناً لكِ ذلك سوف نُلغي الرسميات بيننا لذلك تستطيعين أنتي أيضاً أن تناديني ب رغد، ونحن أيضاً سُعداء بزيارتنا لكِ يا هدير، وهذا بالحقيقة ما حصل بالضبط مع يزن وتيم، أخبريني الآن كيف حاله هل هوبخير.

_ ليس تماماً يا رغد لقد شلّت حركته بسبب سقوطه من على درج المدرسة وما زال يأخذ العلاج المناسب في المستشفى وأذهب إليه يومياً كي أطمئن عليه حيث لا استطيع أن أبيت معه في المستشفى لأنني أكره البقاء في المستشفيات وبسبب المنزل لا أريد هجره، اعتقد أنه سيكون بخير في حال استمر في جلسات العلاج الفيزيائي.

_ ماذا قلتي، شلّت حركته.

حاولت أن أبين لها بأنني متفاجئة من عدم معرفتي بذلك عندما زرت تيم في المستشفى اليوم، لكن الصدمة قد ظهرت على وجه تيم ونور، أما عن آدم فحاول عدم اظهار معرفته بوضع تيم لأنني كنت قد اخبرته بذلك، تلفتُّ نحوهدير وحاولت مواساتها.

_ أرجوا له الشفاء العاجل يا هدير وأرجوا أن يرجع قريباً ويكمل دراسته.

_ أرجوا ذلك يا عزيزتي رغد.

بقينا حوالي النصف ساعة نتبادل الأحاديث فيما بيننا أنا وآدم وهدير، أما عن الأولاد كانوا جالسون بدون أي صوت أومشاركةً منهم منصتون لأحاديثنا بملل، بعدها ذهبنا إلى منزلنا وطلبتُ من هدير أن تزورني في منزلي كي تتسلّى معي أفضل من أن تبقى وحيدةً في منزلها ووافقت على طلبي بكل رحابة صدر.

عند عودتنا إلى المنزل استلمني آدم في الكلام حيث أنه لم يترك أي كلمة إلا وقد نطقها.

_ ماذا بك يا عزيزي لماذا كل هذا التوتر.

_ أمي أنا ونور سنذهب للنوم وسوف ندعكما أنتي وأبي تتحدثان براحة (يزن).

_ حسناً يا بُني تصبحون على خير .

_ الآن يا عزيزي اخبرني ماذا دهاك، لماذا كل هذا التوتر، هل من خطب ما.

_ تسألينني أيضاً يا رغد، ألم أُحذرك من هذه المرأة كي لا تُعمقي

علاقتك بها، حتى أنكِ قد دعوتها كي تأتي إلى منزلها ما هذا الفِعل.

_ أولاً أرجوك ألا تصرخ في وجهي ابق هادئاً فليس هناك ما يدعوللقلق أوالتوتر من هذه السيدة، لقد رأيت بعينيك أنها قد تغيّرت تماماً تجاهنا يا آدم.

_ وهذا ما يقلقني بالضبط يا رغد، تغيّرها المفاجئ تجاهنا لم يعجبني على الإطلاق فهذه السيدة تخفي شيئاً ما أومن الممكن أنها تسعى لخطة أخرى، ألم تريها بعينيك يا عزيزتي عندما جاءت إلى منزلنا وحاولت التهجّم علينا وعلى يزن وكانت قد توعّدته بأنها لن تدعه وشأنه، أيمكن أن تتغير نظرتها تجاهنا بهذه السرعة.

_ نعم يا آدم هذا ممكن، ألم تسمعها عندما قالت بأن أبنها تيم كان قد أخبرها بالحقيقة كاملة، وعندما فهمت كل شيء وبأن يزن غير مذنب أظن أنها قد ندمت على فعلتها وقررت أن تغيّر تصرّفها وسلوكها تجاهنا.

_ لا أعلم، أنا غير مطمئن لهذه السيدة على الإطلاق، لقد حذرتكِ يا رغد انتبهي منها جيِّداً سوف أذهب للنوم الآن فلديّ عملٌ في الغد تصبحين على خير.

_ حسناً يا عزيزي فلتنم جيداً تصبح على خير، أساسا لا تعرف شيئاً غير النوم (قلتها في نفسي بصوت منخفض).

جلست على الكرسي حول النافورة وسط أرض الديار وبدأت أفكر ملياً بوضع يزن، وكيف عليّ أن أسعده مجدداً، وبقيت هكذا إلى أن بدأت أشعر بنعاس يكاد أن يقضي علي، فصعدت الدرج متجهةً نحوالغرفة ففتحت بابها ورأيت آدم غارقاً في نومه فاستلقيت بجانبه ورحت غارقةً في النوم أيضا.

-٨-

بعد مُضي يومان من زيارتنا لمنزل والدة تيم السيدة هدير والتي كانت قد استقبلتنا أحسن استقبال، كان علينا زيارة تيم في المستشفى للإطمئنان عليه، فتوجّهت لغرفة يزن كي أخبره بذهابنا فما زال منعزلاً في غرفته بعد أن تم فصله من المدرسة لمدة اسبوع بسبب حادثة تيم رغم أن يزن بريء من التهمة لكن لا أعلم لماذا قد تم فصله هل كرامةً لتيم بسبب ما حصل له، أم رأفةً بتيم أم ماذا بعد أن علم المدير بحاله، لا أعلم لكن كل الذي أعلمه أن يزن قد ظُلِم، فمنذ أن صدر قرار فصل يزن بدا عليه الحزن الشديد وأصبح قليل الطعام ودائماً شارد الذهن، يجب أن أخرجه من هذه الحال وكان لا بدّ أن آخذه ونذهب لزيارة تيم فمن الممكن عندما يراه أن يتحسن قليلاً، حتى أن زيارته ستبدومناسبةً لتيم أعتقد أنه سيفرح بزيارة كهذه، اتّجهت نحوغرفة يزن كي أخبره بذهابنا للمستشفى دخلت غرفته ورأيته جالساً على سريره شارد الذهن في السماء المطلّة من نافذة الغرفة.

ـ بُني كيف حالك الآن، هل لا زلت حزيناً بسبب فصلك من

المدرسة.

_ لا شيء يا أمي، أرجوكي أتركيني لوحدي قليلاً.

_ لا، لن أتركك وحيداً فقد مضى على جلوسك في غرفتك أيام عدّة، يجب أن تخرج من هذه الحالة والآن، لذلك جئتك باقتراح.

_ اقتراح ... قالها يزن وهومندهش وبدا عليه الحماس.

_ نعم اقتراح، ما رأيك بالذهاب إلى المستشفى لكي نزور تيم ونطمئن عليه، أعتقد أنه من الواجب أن تذهب لصديقك.

حينما سمع يزن هذا الإقتراح طأطأ رأسه إلى الأسفل وبدا الحزن عليه من جديد.

_ لا يا أمي لن أذهب، وأيضاً تيم ليس صديقي كما تعتقدين، هل هكذا تكون الصداقة، أنسيتي ما فعله بي بسخريته مني واتهامه لي بأنني من قام بدفعه من أعلى الدرج، كلّا يا أمي لن أذهب.

_ بُني، أعتقد أن تيم قد قام باتهامك بسبب الخوف من والدته، لوعلمت أنه قد سقط لوحده من أعلى الدّرج لكانت قد بدأت بالصراخ عليه وعاتبته على تهوّره وعدم انتباهه ولكانت أيضاً قد عاقبته، من يدري يا عزيزي كيف يعيش أيامه مع والدته وكيف تعامله، من الممكن أنها تقسى في المعاملة مع ولدها لهذا السبب

أخفى يزن السبب الحقيقي لسقوطه كي لا تعلم والدته بهذا وتوبّخه، ألم تلاحظ أن هذه السيدة سيئة الطباع وسمعتها في الشارع ليست جيدة فالجميع يتكلمون عنها على أنها سيدة سيئة الطباع مع نفسها ومع إبنها أيضاً ولطالما سمعنا صوت تيم واصلٌ عندنا وهويصرخ وكأنها تبرحه ضرباً.

_ معكِ كل الحق يا أمي، من الممكن أن يكون هذا سبب كافي ليتهمني به، لكن ما هوذنبي وماذا عن سخريته مني.

_ ومن منّا لم يتعرض للسخرية يا يزن، جميعنا أحياناً نلتقي بأشخاصاً يسخرون منا بل ويغارون منّا، وأعتقد أن تيم يسخر منك بسبب تفوّقك عليه في المواد الدراسية، وهذا يعني أنه يغار منك لا أكثر.

_ لا أعلم يا أمي، حسناً لا بأس بزيارة ودّية لتيم ونطمئن عليه لكن لتكن زيارة قصيرة يا أمي أرجوكِ.

_ جهّز نفسك إذاً يا عزيزي، وأنا سأذهب كي أجهز نفسي فلنذهب ونعود قبل رجوع أختك نور من المدرسة، فإن جاءت وطرقت باب المنزل ولم تجد أحداً ستخاف جداً.

بعد مضُي ربع ساعة تقريباً كنّا جاهزين وخرجنا من المنزل قاصدين المستشفى وأثناء خروجنا من المنزل رأينا السيدة هدير

قادمةٌ نحونا.

_ أهلاً بكِ يا سيدة هدير كيف حالك. رحت قائلةً لها.

فبوجه عابس قليلاً قد أجابتني هدير.

_ ألم نتفق بأن نزيح الرسميات بيننا يا رغد.

أجبتها بابتسامة تعلووجهي.

_ لقد نسيت، كيف حالك إذا يا هدير هل أنتي بخير.

_ أنا بخير شكراً وأنتي كيف حالك يا رغد.

_ بخير، كيف أصبح حال تيم هل لا زال يتلقّى العلاج المناسب.

_ نشكر الله بأنه لم يمت.

ردّت قائلةً وبدأت تنظر ليزن بقسوة.

_ أعتقد أنك تعلمين بحقيقة الأمر صحيح يا هدير.

_ حقيقة ماذا، هل تقصدين حقيقة دفع هذا الولد لتيم من أعلى درج المدرسة.

_ لا، بل حقيقة وقوعه لوحده من أعلى الدرج، ألم يخبرك مدير المدرسة بهذا.

_ بل أخبرني لكنني لا أصدق أن وقوعه كانت مجرد حادثة وبأنه

سقط لوحده، تيم قد أخبرني بأن من دفعه كان هذا الولد.

شردت قليلاً في كلامها وبدأت أفكر في وضع تيم، هل كان اعتقادي صحيحاً يا ترى، هل تيم أخفى الحقيقة عن والدته بسبب خوفه من معاملتها السيئة معه، قررت السكوت والوقوف بجانب تيم وتأييد كلامه رغم أن هذا سوف يكون ظلم ليزن، لكن لا مشكلة يزن الآن بخير وسوف يتخطى هذا الوضع قريباً، لذا قررت أن أويد كلام تيم للوقوف بجانبه وعدم تعرضه للمواقف السيئة من قِبل والدته.

_ لا بد للحقيقة أن تظهر يوماً يا سيدة هدير، ففي النهاية هم أولاد ولا بد أن تحصل أشياءٍ كهذا والآن أعتقد أن يزن مُدين باعتذار لكِ ولتيم أيضاً، هيّا يا بنيّ اعتذر منها في الحال.

نظر إليّ يزن مندهش من قراري.

_ لكن يا أمي ......

_ هيّا يا عزيزي اعتذر منها.

رفع يزن نظره نحوالسيدة هدير بوجه حزين وبقلب منكسر وأبدا إعتذاره منها.

_ أنا آسف أيتها السيدة، لم أكن أقصد فعلتي وأرجوا أن يُشفى

تيم عمّا قريب.

ظلّت السيدة هدير صامتةً وهي تحدّق ليزن بصرامة وأدارت ظهرها لنا متجهّة نحومنزلها بدون أن تنبس ببنت شفّة وذهبت.

أكلمنا مسيرتنا كي نوقف سيارة أجرة لنذهب للمستشفى كما كنا مخططين وإذ بيزن بدا عليه مشاعر الحزن والبغض تجاهي حتى بعدما ركبنا سيارة الأجرة.

_ لماذا فعلتي هكذا يا أمي، قالها يزن بنبرة عتاب.

_ ألم تفهم إلى الآن السبب يا بُني.

_ لا لم أفهم بعد، لكنّ الشيء الوحيد الذي فهمته هوأنكِ قد وقفتي بجانب السيدة وتيم أيضاً في هذا الموضوع وكنتي قد حمّلتني كل المسؤولية وأنتي التي من المفترض أن تقفي بجانبي لأنكِ والدتي.

_ أولاً أنا وعدتك يا عزيزي بأن أبقى بجانبك دائماً وأساندك، ثانياً تصرفت هكذا هي أنهي الأمور على خير، ففي النهاية هذه السيدة سيئة الطباع جداً وأخاف أن تؤذيك وفي حال أصرّينا على موقفنا سوف تحاول أن تؤذيك وخفت بأن تؤذي إبنها يبدوبأن هذه السيدة مختلة عقلياً بالفعل.

_ لكن في رأيك ألن تؤذيني الآن عندما قمتي بإخبارها بأنني الفاعل. قالها يزن

_ لا يا عزيزي لا أعتقد هذا، من الواضح أن اعتذارك منها قد انهى كل شيء، يبدوأنها كانت تنتظر منّا الإعتذار لا أكثر، لا تخف أنا بجانبك دائما يا بُني وسأبقى هكذا.

عندما وصلنا المستشفى صعدنا إلى غرفة تيم والتي تحمل رقم (١٠٥) المتواجدة في الطابق الثاني، طرقنا باب الغرفة قبل الدخول للإستئذان وبالطبع سمعنا صوت تيم يأمر بالدخول.

_ كيف حالك يا بُني، هل أصبحت بخير ، انظر من جلبت لك معي.

_ أهلاً بك يا خالة أنا بخير لا زلت على السرير أتلقى العلاج المناسب، من الجيد أنك أحضرتي يزن معك، كيف حالك يا صديقي هل أنت بخير.

يزن مندهشاً من تصرّف تيم معه حيث نظر إليّ نظرة اندهاش تتبعها شيئاً من الإبتسامة على وجهه.

_ بخير يا تيم شكراً، أنت كيف حالك.

_ بخير يا صديقي، أولاً أنا مدين لك باعتذار كبير بسبب اتهامي

لك بدفعي من أعلى درج المدرسة، كنت خائفاً من والدتي فحسب فهي سيئة في التعامل معي وكأنني لست ابنها، واعتقد أنني مدين لك باعتذار آخر بسبب سخريتي منك، فهذا لعدّة أسباب، كلّ ما استطيع فعله الآن هوالإعتذار منك وأرجوا أن تتقبل اعتذاري يا يزن، أعلم أنك طيب القلب وسوف تسامحني على أخطائي لطالما كنت أفضل مني في طريقة التعامل والتسامح وفي دراستك أيضاً، أنت شخص جيد يا يزن أتمنى أن تتقبل صداقتي أيضاً.

حينما انتهى تيم من كلامه نظرت لوجه يزن وإذ بدا عليه التعاطف مع تيم كان على وشك أن يقول شيئاً لكنه اقترب من السرير وأمسك بيد تيم، تفاجئت من تصرفه هكذا، لم أكن أتوقع أبداً أن يلين يزن هكذا وبسهولة.

_ لا عليك يا صديقي، لقد نسيت كل شيء والمهم الآن هوأن تعود لنا في كامل صحتك، جميع الطلاب قد اشتاقوا اليك ولحضورك ولمشاغبتك أيضاً.

بدأت الدموع تتساقط من تيم بلا توقف عندما سمع كلام يزن.

_ آه ياصغيري، لماذا تبكي الآن. قلت لتيم.

_ أنا خَجَلٌ جداً من لطفكم معي بالرغم من كل ما فعلته ليزن، لم أكن أتوقع أنكم أناساً طيبين جداً ومتسامحين لهذه الدرجة، ليتنا

كنا أصدقاءً منذ وقت طويل، كل الحق على والدتي لقد أصابتني بعقدة من سلبيتها معي لطالما كرهت نفسي وكرهت حياتي بسببها، لطالما وبختني على أشياءً تافهة، لطالما حبستني في المنزل بحجّة خوفها عليّ، ولطالما أمرتني بألا أتقرّب من الجيران وحاولت أن تخيفني من تصرفاتهم، لم أقابل يوماً جيداً معها على الإطلاق.

_ هوّن عليك لا بأس يا عزيزي، مهما حصل تبقى هذه السيدة والدتك التي ربتك وكبّرتك، هكذا نحن الأمهات مهما قسونا على أولادنا في المعاملة نكن لهم بداخلنا الحب والطمأنينة.

_ أنتِ لا تعلمين شيئاً يا خالة، دائماً تقسوعليّ ولا تحبني أتمنى أن أبقى هنا مدى العمر على أن أعود لذلك المنزل وأعيش معها، أهذه أم برأيك، هل هناك أم تتصرف هكذا مع أولادها، أكبر مثال على ذلك هوعدم تواجدها هنا الآن، لقد تركتني وحيداً وذهبت لتستلقي في المنزل بحجّة أنها لا تحب المشافي.

_ لا تقل هذا يا تيم، ستشفى عمّا قريب بإذن الله ونحن هنا أيضاً فإن كانت والدتك لا تأتي لزيارتك فنحن سنأتي ولن نتركك وحيداً إلى أن تعود لمنزلك وسترى والدتك وتعيش معها حياةً سعيدة، ولا تنسى أصدقاؤك في انتظارك أيضاً لقد اشتاقوا لرؤيتك جميعاً أليس كذلك يا عزيزي يزن.

_ نعم صحيح كلامك يا أمي، لا تقلق يا صديقي سوف تتحسن عما قريب وستعود قريباً لمنزلك ولمدرستك ولأصدقاؤك.

_ أرجوا ذلك يا صديقي. (تيم قائلاً)

في هذه اللحظة دخلت الممرضة وبدأت بتوجيه الكلام إلينا.

_ معذرةً ولكن موعد الزيارة قد انتهى، يجب أن نأخذ المريض لجلسة العلاج الفيزيائي الآن.

_ حسناً أيتها الممرضة سوف نذهب في الحال.

التفتّ نحوتيم واقتربت منه وامسكت بيده.

_ لا تقلق يا عزيزي سوف تكون بخير وستشفى عمّا قريب، سوف نذهب الآن ونعود لاحقاً انتبه لنفسك جيداً.

_ انتبه لنفسك جيداً يا صديقي، سوف أعود لأطمئن عليك. (تيم)

_ أشكركم جداً على هذه الزيارة وأرجوا أن ترجعوا مرةً أخرى، مع السلامة في حفظ الله.

عندما خرجنا من المستشفى قررنا العودة إلى المنزل قبل رجوع نور، وقفنا في الشارع منتظرين سيارة أجرة وهنا التفتُّ نحويزن رأيته مبتسماً.

_ ألم أقل لك بأن تيم جيد يا يزن، انظر فزيارتك له قد حسّنت من نفسيتك جداً.

_ صحيح يا أمي، لم أكن على علم بطيبة قلب تيم ولم أكن أعلم أنه يعاني كل هذه المعاناة في حياته مع والدته، أيوجد أمهات تعامل أبناؤها هكذا يا أمي، لماذا تعامل تيم بهذه الطريقة السيئة.

_ نعم يا بُني يوجد، ومن الواضح أن تصرفات تيم في المدرسة سببها انعكاس مما يحدث معه في المنزل أعتقد أنه يفرغ طاقته لا أكثر، لذلك سامحه على ما كان يفعله معك يا يزن.

_ كلامك معقولاً جداً، أنا فَرِحٌ جداً لصداقتي مع تيم يا أمي، وأخيراً قد أصبح لدي صديقاً، من كان يدري أن أكثر شخصاً كان يضايقني في المدرسة قد أصبح صديقاً لي الآن، من الآن فصاعداً سوف أزوره باستمرار يا أمي واطمئن على حاله وفي المرة القادمة سوف أحضر له بعض الكتب كي يمضي وقتاً رائعاً بها.

_ الحمد لله يا بني، بعد كل تلك المشاكل قد كوّنتم صداقة حقيقية، لكن ليتها كانت بظروف أخرى وليت تيم لم يؤذى على الإطلاق.

_ سوف أدعوا له بالشفاء العاجل دائماً يا أمي.

بقينا واقفين حوالي الربع ساعة تحت أشعة الشمس حتى مرّت

سيارة أجرة من أمامنا وقصدنا الذهاب للمنزل.

-٩-

ما زال الطقس في الخارج سيء الأمطار لا تتوقف والرياح تدوي في أرجاء مدينة حلب والكهرباء مقطوعة بسبب الأجواء في الخارج، كنّا جميعاً في المنزل جالسين في غرفة المعيشة على ضوء الشموع وبجانب المدفئة نتكلم فيما بيننا حول المفاجئة التي صادفتنا اليوم عندما رجعنا أنا ويزن إلى المنزل.

_ مَنْ مِنَ الممكن أن يكون قعد فعل هذا يا رغد، أتعتقدين أن أمراً كهذا يجب أن نتخطاه بسهولة.

_ لا أعلم يا آدم، لقد صدمنا بالفعل وأنا متأكدة تماماً من إغلاقي لباب المنزل عندما خرجنا أليس كذلك يا يزن.

_ نعم يا أمي كلامك صحيح (يزن قائلاً).

_ أمي بدأت أخاف من المكوث في المنزل هنا (نور).

_ لا تخافي يا عزيزتي ما دمتِ معنا سوف تكونين بخير.

_ هل برأيك أن نخبر الشرطة عن ذلك يا آدم.

_ ما الذي سنقوله لهم... عندما رجعتي من المنزل رأينا الباب

مفتوح من تلقاء نفسه، لن يستطيعوا فعل شيء وفي الأخص أن شيئاً لم يسرق من المنزل كما تقولين بأن كلَّ شيء على وضعه الطبيعي.

_ هذا ما حصل بالذات، وهذا ما يقلقني بالفعل حتى قفل الباب ليس عليه أية خدوش توحي بأن شخصاً قد اقتحم منزلنا.

_ حسناً فلنهدئ جميعاً، من الآن فصاعداً لا أحد سيبقى في المنزل وحده حتى أنتي يا رغد، ويجب ألا نترك المنزل فارغ تماماً.

_ لكَ ذلك يا عزيزي آدم.

_ أخبريني الآن ما الذي خطر ببالكم فجأة بزيارة تيم في المستشفى.

_ من الجيد أننا ذهبنا صحيح يا يزن.

نظر إليّ يزن وهومبتسماً وهزّ برأسه مستجيباً لكلامي.

_ في الحقيقة أنا منذ البداية كنت قد شفقت على حال هذا الولد وبالذات عندما علمت بأنه قد شُلّت حركته ولن يستطيع المشي إلا لوقت طويل، وفي نفس الوقت كنت أريد إصلاح الأمور بين يزن وتيم ففي النهاية هم في نفس المدرسة وقبل كل ذلك هم جيران، لذلك أقنعت يزن بالذهاب معي وعندما خرجنا من المنزل صادفنا والدة تيم كانت تصرفاتها غريبة جداً وكأننا لم نذهب إليها ليلة

الأمس ونصلح الأمر فيما بيننا، أعتقد أنها قد رَجِعت إلى حالها القديم تماماً.

_ حالها القديم، ما الذي تقصدينه بحالها القديم يا رغد.

_ عزيزي آدم، أقصد بأنها ما زالت موقنةً بأن يزن هومن دفع إبنها من أعلى الدرج وهومن تسبب لتيم في الشلل.

_ كنت قد قلت لك ذلك يا رغد منذ البداية وقبل دخولنا لمنزلها بأن تصرفات تلك المجنونة غريبة ولم أرتاح أبداً وإن كنت تذكرين كنت قد طلبت منك بألا ندخل منزلها لكنك أصرّيتي على ذلك، انظري الآن زيارتنا لها لم تفيدنا بأيّ شيء.

_ وإن يكن يا آدم، لم نخسر شيئاً اعتبرها مجرد زيارة ودّية لا أكثر، كفاك عتاباً لي.

_ حسناً أكملي لي ما حدث اليوم معكم وأخبريني عن حال تيم هل هوبخير.

_ ليس تماماً، حزينٌ جداً ولا يطيق الرجوع إلى المنزل أيضاً، بل إنه مكسور القلب من قِبَل والدته، بدأ يخبرنا بمعاناته معها وكيف تعامله بقسوة بل وتتركه وحيداً في المستشفى إيضاً، أعتقد أن هذه السيدة قد خسرت ولدها تماماً فهولم بعد يريدها في حياته بعد الآن هذا ما استنتجته من كلام تيم، لكن الأمر الجيد بأن تيم ويزن

أصبحا صديقان مقربان.

_ قلتي أصدقاء، وبعد كل ما حدث بينهما، كيف حدث هذا.

_ حدث وانتهى يا عزيزي آدم هذا هوالمهم، والآن أصبح لدى يزن صديقاً مقرباً واخبرني بأنه سيزوره دائماً في المستشفى للاطمئنان على حاله.

_ مبارك لك صداقتك مع تيم يا أخي، أرأيت كنت قد قلت سيأتي يوماً وتكتسب صداقة جديدة.

_ شكراً يا نور، صحيح وهذا ما حصل والحمد لله.

_ هيّا الآن فلنخلد إلى النوم جميعاً قد تأخر الوقت كثيراً ويجب أن ننام، نور ويزن كلٌّ منكم فليأخذ معه إحدى الشموع لغرفته كي لا تنامان على العتمة، تصبحان على خير أيها الأولاد.

_ تصبحون على خير جميعاً. (نور ويزن قائلين).

توجّه كلٌّ منا إلى غرفته الخاصة وأغلق الباب على نفسه وعمّ الهدوء أركان المنزل إلا صوت المطر ما زال يتساقط بغزارة، وبعد مرور ساعتين على نومنا عند تمام الساعة الحادية عشر وخمسة وثلاثون دقيقة مساءً استيقظت على لمسات يزن، كان يوقظني وقد بدا عليه الخوف الشديد، إنها المرة الأولى التي يقتحم فيها يزن

غرفتنا من غير استئذان.

_ ماذا بك يا بني هل أنت بخير.

هنا قد استيقظ آدم من جانبي وتفاجئ بوجود يزن بغرفتنا في وقت متأخر من الليل.

_ ما الذي حصل يا رغد، أخبرني يا يزن هل أنت بخير يا بني ما الذي تفعله هنا لماذا لم تنم بعد.

_ لقد كنت نائماً أساسا يا أبي لكني رأيت كابوساً مزعجاً جداً لقد أخافني وعندما استيقظت أحسست بخنقة كبيرة تلازمني فجئتكم الغرفة.

_ حسناً يا عزيزي لا بأس هيّا بنا سوف أذهب معك لغرفتك كي تنام... ولا تقلق أوتخاف لقد أصبحت شاباً يا بني.

_ سوف أذهب معه يا آدم أكمل نومتك أنت، عندما يغفويزن سأعود.

أمسكت يزن من يده وأسندته جيداً فلا زال تحت تأثير النوم يمشي مترنّحاً يميناً يساراً، خرجنا من غرفتنا وذهبنا لغرفة يزن كانت الكهرباء ما تزال مقطوعة وطقس المنزل بارد جداً، عندما دخلنا الغرفة بدأت أشتم رائحة العفن منتشرةً في غرفة يزن بشدة

وتفاجئت من وجودها فلا شيء في غرفته يدعوا لتلك الرائحة القوية.

ـ هيّا استلقي على فراشك يا عزيزي سوف أفتح النافذة قليلاً كي يدخل هواءً نقياً إلى الغرفة.

فتحت النافذة واستلقيت بجانب يزن أداعب شعره بأصابعي كي يغفوبسرعة ولاحظت بسخونةً في جبينه، فنهضت مسرعة لأجلب جهاز فحص الحرارة وعندما عدت لم أجد يزن على سريره، هل ذهب إلى الحمام يا ترى (قلت في نفسي)، حينما التفت لورائي رأيته واقفاً ينظر إلي.

ـ لقد أخفتني يا يزن، لماذا لم تصدر أي صوت، أين كنت يا بني.

ـ في الحمام.. أجاب يزن

ـ حسناً تعال واستلقي يجب أن أفحص حرارتك الآن، وبالفعل قمت بفحص حرارته وكانت تتخطى الثمانية وثلاثون فذهبت تلقائياً وجلبت خافضاً للحرارة وبعض كمادات المياه لأضعها على جبينه كي تنخفض حرارته.

ـ إنزع التي شيرت التي تلبسها يا يزن فحرارتك عالية.

ـ لا بأس يا أمي لن أنزعها عني.

_ أتخجل مني يا يزن أنا والدتك، هيّا إنزعها في الحال كي يبرد جسمك في الحال، إن لم تنخفض حرارتك فلن تستطيع النوم براحة.

ساعدته على النهوض ونزعت عنه ال تي شيرت التي كان يلبسها وتفاجئت بوجود كدمات بلون أزرق على صدره وبطنه لقد كانوا ظاهرين تماماً بالرغم من إضاءة الغرفة الخافتة، فنهضت وجلبت الشمعة وقرّبتها منه كي أرى بوضوح أكثر وبالفعل كانتا كدمتان زرقاوتان.

_ ما هذه الكدمات يا يزن، هل تعرّضت لحادث ما أم ماذا.

_ لا يا أمي لم أتعرض لأي حادث على الإطلاق.

_ إذاً ما هذه الكدمات على صدرك وبطنك هل تشعر بها أوتؤلمك.

_ كلّا على الإطلاق لا أشعر بوجودها حتى.

_ حسناً استلقي ونم جيداً يا بني.

بعد ما يقارب الثلاث ساعات وبعد أن انخفضت حرارة يزن كنت قد غفوت بجانبه من شدّة نعاسي، لكن ليتني لم أنم وبقيت فوق رأس يزن كي أراقبه، صوتي يكاد يختفي من شدة الصراخ،

جسمي يكاد ينهار من شدّة التوتر، يدٌ تكاد تخنقني إنه يزن تفاجئت بوجوده فوقي ويديه حول عنقي ويحاول خنقي، حاولت الصراخ كثيراً لكن دون جدوى كنت أختنق، حاولت قدر الإمكان إبعاد يزن عني كي أستطيع الصراخ لآدم وبالفعل كنت قد حاولت وفعلت ذلك، وهنا تقريباً جميع من في المنزل قد استيقظوا على صوت صراخي عندما سمعوه، دخلت نور في البداية ورأت يزن وهويخنقني فدوت صرخة بصوت عالي ورَكَضتْ نحوي كي تفلتني من يده فدفعها يزن بأقصى قوته ووقع أرضاً ومن ثم جاء آدم وأمسك يزن بصعوبة بالغة وحاول يزن دفع والده لكنّ آدم حاول السيطرة على الوضع بصعوبة حيث بدا يزن أقوى من والده لا نعلم من أين جاءت كل تلك القوة، أمسك يزن من ذراعيه وحاول ابعاده عني وعندما أفلتني بدأت بالتقاط أنفاسي بصعوبة، ركضت نور نحوي مسرعةً وحاولت أن تساعدني والوقوف بجانبي.

_ اهدأ يا بنُي ما الذي حصل لك فجأة، (تمتم آدم بعصبية).

_ ما الذي حصل له يا آدم أنا خائفةٌ عليه جداً،.

_ تعالي وهدئي يزن قليلاً ريثما أذهب وأحضر ابرة مهدئ من حقيبة الإسعافات الأولية.

ركض آدم مسرعاً كي يأتي بمهدئ وهنا بدوري كان عليّ إمساك يزن جيداً لا أعلم ما الذي حصل له، لقد جُنّ تماماً صار يصرخ بشدّة وحاول التملّص من بين يدي لكني سيطرت على الوضع إلى أن جاء آدم وبيده المهدئ، ثبتناه جيداً ومن ثم أعطاه الابرة، دقائق وصار يزن في وضعية الاسترخاء، حملناه ووضعناه على السرير وهنا كانت نور تجهش بالبكاء وخائفةٌ جداً مشيتُ نحوها وعانقتها بقوة كي أحسسها بالأمان وطلبت منها الذهاب لغرفتها.

_ كلا يا أمي لن أستطيع الذهاب قبل الإطمئنان عليه أنا خائفة جداً، ما الذي حصل لأخي هل هوبخير.

_ لا تقلقي يا عزيزتي يبدوأنه رأى كابوساً مزعجاً لا غير هيّا إلى غرفتك بسرعة وأكملي نومك فلديك مدرسةً في الصباح.

_ حسناً يا أمي.

اتّجهت نحوغرفتها والدموع في عينيها من شدّة خوفها على أخاها، وعندما ذهبت اقتربت من يزن كي اطمئن على حاله ورأيتهُ مسترخياً تماماً يبدوعليه التعب فوجهه قد بدا شاحب جداً.

_ لم أرى يزن بهذه الحالة من قبل يا رغد، ما الذي حصل له اخبريني فأنتي كنتِ بجانبه طوال الليل.

_ لا أعلم فكلّ شيء قد حدث بسرعة، عندما جئت مع يزن

لغرفته لاحظت لأن حرارته قد ارتفعت، فوضعت له كمادات المياه الباردة على جبينه كي تنخفض حرارته، ومن ثم طلبت منه خلع الملابس التي يلبسها كي يبرد جسمه، انظر لهذه الكدمات يا آدم لقد لاحظت وجودها عندما خلع ملابسه، لم أراها من قبل سألته عنها وأجابني بأنه لم يلاحظها البتة ولم يشعر بأي ألم، برأيك مما هذه الكدمات يا آدم.

_ من الممكن أن يكون معه نقصاً في الفيتامينات ولهذا السبب قد ظهرت هذه الكدمات، لا تقلقي غداً سوف أجلب له بعض الأدوية والفيتامينات كي يقوي نفسه بها.

_ لقد خفت كثيراً يا آدم، هل برأيك أنه قد شاهد كابوساً جعله يستيقظ ويقوم بخنقي بهذه الطريقة، كدت أن أموت في لحظة إن لم تأتي أنت ونور، برأيك لوكان كابوساً لما كان استيقظ منه بعد كل هذا الصراخ والانفعال الذي حصل.

_ في الحقيقة يا رغد لم أشهد من قبل كابوساً قد يؤدي لهذا الفعل، المهم أنه بخير وسوف يتحسن في الصباح لا تقلقي لقد أعطيته مهدئ الآن، ابقي ونامي بجانبه هذه الليلة وأنا سأذهب لغرفتنا الآن وإن احتجتي لأي شيء اخبريني على الفور.

_ حسناً يا عزيزي لا تقلق، اذهب واسترح الآن تصبح على خير.

حينما توجهّ آدم لغرفتنا حاولت الاستلقاء بجانب يزن، بدا عليه التعب بشدّة وازداد شحوب وجه كثيراً، ظللت أراقبه إلى أن غفت عيناي ورحت في سبات عميق.

-١٠-

ما زال الوقت باكراً كنت قد استيقظت حوالي الساعة السادسة صباحاً على أصوات العصافير وضوء الشمس المطل من نافذة الغرفة، من الواضح أن الطقس في الخارج قد تحسّن، التفت ورأيت يزن بجانبي ما زال نائماً بعمق فنهضت برويّة كي لا أوقظه وخرجت إلى أرض الديار كانت مياه الأمطار تكسوالأرضية ورائحة مياه الأمطار متشبثةٌ على جدران المنزل، كم أحب رائحة هذه الجدران المكسوة بمياه الأمطار، اتّجهت نحوغرفتنا كي أوقظ آدم من نومه لكن استوقفني منظرٌ غريب أراه لأول مرة في المنزل، النمل يكسوجدران وأرضية المنزل بشكل مخيف، من أين جاءويا ترى إنها المرّة الأولى التي أرى فيها نملاً بهذه الأعداد، على الأقل هناك ما يتعدّى المائة نملة، منظرٌ مقزز، قلت في نفسي، تخطيته بسرعة ودخلت الغرفة ورأيت آدم مستيقظاً ومرتدياً ملابسه مستعداً لذهابه إلى العمل.

_ لم أكن أتوقع أن أراك مستيقظاً يا آدم، هل من مشكلة يبدوعليك التعب، ماذا بك ألم تنم جيداً.

ـ صحيح يا رغد فأنا لم استطع النوم جيداً لقد قلقت على يزن كثيراً البارحة، فحاله لم يعجبني على الإطلاق.

ـ لا تقلق يا آدم من الممكن أن يكون كابوساً مزعجاً لا أكثر، عندما يستيقظ سيكون بخير.

ـ أرجوا ذلك، (تمتم آدم قائلاً)، عليّ الذهاب الآن.

ـ الآن.

ـ نعم فلديّ عمليّة جراحية في المستشفى بعد ساعة من الآن يجب أن أكون مستعداً لها.

ـ حسناً يا عزيزي انتبه لنفسك جيداً.

ـ انتبهي على نفسك أيضاً وراقبي وضع يزن جيداً.

ـ لا تقلق يا عزيزي كن مطمئناً.

التفت نحوباب الغرفة كان على وشك الخروج واستوقفته للحظة.

ـ انتظر قليلاً، نسيت أن أخبرك بشيء مهماً قد لفت انتباهي في الصباح، عندما خرجت من غرفة يزن رأيت الكثير من النمل على أرضية وجدران المنزل.

ـ وما المهم في ذلك، النمل موجودٌ في كل مكان يا عزيزتي

أتسمين وجود النمل شيئاً مهماً.

_ عندما يكون النمل بعدد قليل كنت سأتخطى الموضوع، لكنّ المنظر الذي رأيته قد جعلني اشمئز منه، كانت الأعداد كبيرة جداً مصطفّة بصفٍّ واحد وهم يمشون، أظن أنهم يتخطون المائة نملة.

_ مائة .... (قالها باندهاش).

_ نعم، اذهب وانظر لهم بنفسك.

خرجنا من الغرفة سوياً ورأيت وجه آدم المشمئز من منظر النمل المنتشر بغزارة على الجدار وأرضية المنزل وحول النافورة أيضاً.

_ أرأيت يا آدم، ما الذي عليّ فعله الآن.

_ في الحقيقة إنها المرّة الأولى التي أرى فيها جيشاً كبيراً من النمل، تستطيعين شراء أي مبيد من المشاتل الزراعية أومن أي صيدلية على الأغلب لا أعلم.

_ حسناً سأهتم بالأمر بنفسي، هيّا كي لا تتأخر على عملك يا عزيزي انتبه لنفسك جيداً.

اقترب مني وامسك بذراعيّ وعانقني بشدّة، هنا قلبي كاد أن يخرج من مكانه من شدّة توتري واستغرابي من الموقف، لقد مضت فترة طويلة على اهماله لي وعدم اهتمامه بي.

_ سوف اشتاق لكِ إلى أن أعود يا رغد، سامحيني. أعلم أن العمل قد أخذني منكم وأعلم أنني قد أهملتك في الآونة الأخيرة لكنني قد وعدتك بأن أُحسّن الوضع، أحبك كثيراً.

_ لقد اشتقت لتلك الحنيّة منك يا آدم، لقد حرمتني منها وبدأت أنسى ذلك الشعور، أرجوك ألّا تبتعد عني أكثر فأنت كلّ ما احتاج إليه في هذه الدنيا يا عزيزي، بدأت أشعر بالوحدة والخوف من خسارتك أيضاً، كنت أشعر وكأنك قد بدأت تكرهني.

_ كلّا على الإطلاق، أنتي ما زلتي بقلبي وردتي التي لا تذبل، وعيناي اللتان تنيران طريقي، وأنفاسي التي أتنفسها، أتحسبين بأن حبّي لكِ قد اختفى يا رغد، كلّ يومٍ يمضي أحبّك فيه أكثر من الذي قبله.

طأطأت رأسي خجلاً من هذا الغزل.

_ لكنني لا أريد كلاماً فحسب يا آدم، بل أريد أن تجعلني أشعر بالفعل بأنك ما زلت تحبني وبأنني ما زلت بقلبك.

_ أنا آسف يا رغد، سامحيني على تقصيري، سوف أعود لآدم القديم أعدك بذلك يا عزيزتي.

_ فليحفظك الله لي يا زوجي العزيز، كم أحبك.

قبّلني من جبيني واتّجه نحوباب المنزل قاصداً عمله بينما أنا انشغلت بترتيب المنزل، وتنظيف أرض الديار من الأتربة التي كونتها مياه الأمطار وسقاية أشجار الياسمين التي تفوح رائحتها في كافة أرض الديار محمّلةٌ بنسيمٍ بارد، وعندما انتهيت كانت الساعة قد قاربت على التاسعة صباحاً، بقيت وحدي ويزن في المنزل بينما نور كانت قد ذهبت إلى مدرستها منذ ما يقارب الساعتان، قررت الذهاب لغرفة يزن كي اطمئن على حاله، دخلتُ الغرفة ورأيته مستيقظاً لكنّه يبدوعلى غير طبيعته.

ـ بُني كيف حالك متى استيقظت من نومك.

في البداية لم يرد على سؤالي وكأنه كان شارداً.

ـ يزن هل أنت بخير يا عزيزي أخبرني هل يؤلمك شيئاً.

صّوب نظره نحوي وكان وجهه لا يُفسّر.

ـ لست بخير يا أمي أشعر بثقل بداخلي لا أعلم السبب، ولديّ صداع قوي وبدأت أحسّ بديق تنًفس.

ـ هل تتذكر شيئاً مما حصل ليلة البارحة.

ـ ما الذي حصل يا أمي.

ـ لا.. لا شيء يا عزيزي، سوف أقوم بإحضار مهدئ للصداع

وإن بقيت بدون أي تحسن سوف آخذك إلى الطبيب، سوف أتركك وحدك قليلاً في المنزل يا بُني سوف أذهب لشراء بعض الحاجيات للمنزل وأعود على الفور لن أتأخر.

_ حسناً يا أمي سوف أستلقي مجدداً إذاً ريثما تعودي.

توجهّت نحوحقيبة الإسعافات الأولية وأحضرت منها دواء للصداع وقمت بإعطاءه ليزن ومن ثم ذهبت لإحضار أي شيء ليطرد النمل... عند خروجي من المنزل رأيت هدير أمام منزلها كانت خارجةٌ أيضاً وعندما رأتني نادتني وهي متّجهة نحوي، حاولت التملص منها بسبب آخر مقابلة دارت بيننا لكنني لم أستطع التملّص.

_ كيف حالك يا رغد هل أنتي بخير كيف تسير الأمور.

_ بخير يا هدير أشكرك، وأنتي كيف حالك وكيف حال تيم هل تحسّن.

_ الحمد لله ما زال يتلقّى العلاج المناسب ذاهبةٌ إليه الآن.

_ أوصلي سلامي له وأوصيه بأن يعتني بنفسه جيداً، أرجوا له الشفاء العاجل، أستأذنك الآن فلدي ما أقوم به.

_ حسناً اعتني بنفسك يا رغد، نسيت أن أسألك عن حال يزن

هل هوبخير وهل انتهت مدة عقوبته في المدرسة.

_ نعم بخير، متبقي يومان على انتهاء تلك العقوبة وسيرجع المدرسة قريباً، وأرجوا عودة تيم أيضاً.

_ أتمنى ذلك.. مع السلامة.

هذه السيدة أغرب واحدة قد قابلتها في حياتي، كلّ يوم تراها في مزاج مختلف، الأهم أن تبقى بعيدة عني وعن أولادي.

أكملت طريقي ومشيت بين شوارع حلب القديمة تحت أشعة الشمس الباردة صباحاً وأنا أبحث على من يساعدني في حل مشكلتي مع النمل المنتشر عندي في المنزل، بعد ما يقارب النصف ساعة من المشي وصلت محل لبيع المشاتل الزراعية أعتقد أن الحل لديه، دخلت المكان وسألت عن شيء ليطرد النمل من المنزل وقد أعطاني شيئاً كالمسحوق الأبيض حيث طلب مني مزجه مع قليل من الماء وتعبئة جميع الفراغات الموجودة على جدران المنزل كي تختفي جميع هذه الأشياء.

عندما رجعت المنزل وضعت الدواء على الطاولة أمام النافورة وذهبت لغرفة يزن كي اطمئن على حاله، أمسكت مقبض الباب بيدي لكنه مقفل من الداخل.

_ يزن بُني، لماذا تُقفل على نفسك، هل أنت بخير.

بدأت بطرق الباب بقوّة عندما لم يجاوبني، وعلى الفور لقد راودتني أفكار سيئة، بقيت أطرق على الباب من غير أي سماع ردّة فعل من يزن، أمسكت هاتفي وبدأت الاتصال بآدم.. هيّا يا عزيزي أرجوك ردَّ عليّ، حاولت جاهداً أكثر من مرة لكنه لا يجاوبني، حاولت دفع الباب بقوة كي ادخل لكنّ قوتي لا تكفي لخلع باب خشبي قديم وثقيل جداً، أفضل حل أن اتصل بالمستشفى وأسأل عن آدم.. قلت في نفسي.

_ مرحباً، أنا زوجة الدكتور آدم من قسم الجراحة، هل توصلينني به رجاءاً، حاولت الاتصال به مراراً لكنه لا يجاوب على اتصالي، الأمر ضروري جداً جداً، أرجوكي صليني به على الفور.

_ حسناً سيدتي استأذنك دقائق ريثما أوصلك به.

ما هي الا دقائق وسمعت صوت آدم على الهاتف.

_ عزيزتي هل هناك خطب ما، قالت لي موظفة الاستقبال أن الأمر هام جداً.

_ آدم أرجوك أن تأتي في الحال، آدم مقفل على نفسه باب الغرفة ولن يرضى بفتح الباب، ناديته أكثر من مرة لكنه لم يجاوبني، خائفة عليه جداً أرجوك تعال بسرعة.

_ حسناً أنا قادم في الحال لا تقلقي، مسافة الطريق وسأكون في

المنزل.

حاولت فتح الباب ملياً لكن دون جدوى، وبقيت اطرق على باب الغرفة بدأت أخاف كثيراً أرجوا ألا يكون قد فعل لنفسه شيئاً.

بعد مرور ما يعادل خمسة وعشرون دقيقة تقريباً كان آدم قد وصل إلى المنزل، ركضت مسرعةً نحوه أطلب النجدة.

_ أرجوك يا آدم افعل شيئاً، انا قلقة عليه جداً.

_ هدئي من روعك يا رغد.

بدأ بطرق الباب ومناداة يزن.

_ اخلع الباب على الفور يا آدم لقد حاولت كثيراً لكن من غير فائدة ، اخلعه الآن.

_ حسناً ارجعي إلى الوراء قليلاً.

بكامل قوته حاول خلع باب الغرفة بعد محاولة لخمس مرات كان الباب قد فُتِح، دخلنا الغرفة وإذ بيزن غير موجود.

_ أين هويا آدم، أين يزن، أين بُني.

_ هدئي من روعك يا رغد أرجوكي سوف نجده لا تقلقي، افتحي الخزانة وابحثي هناك وسأبحث تحت السرير.

ـ لا أحد هنا يا آدم أين من الممكن أن يكون.

ـ لن تجديه هناك يا رغد، ها هوهنا ملقى تحت السرير تعالي وساعديني في إخراجه.

امسكناه جيداً وحاولنا سحبه ووضعه على السرير، كان بوضع يرثى له، يبدووكأنه مصاب بصدمة.

ـ يزن عزيزي هل أنت بخير يا عزيز أمك أخبرني ما الذي حصل لك ولماذا أقفلت باب الغرفة، ولماذا نزلت تحت السرير أصلاً.

نظر إليّ من غير أن يجاوبني، بدأ بالبكاء على الفور وعانقني.

ـ ما الذي يحصل يا آدم ماذا به.

ـ بنُي اخبرني هيّا ما الذي حصل، ألن تخبر أباك أيضاً.

ـ أرجوكم بألّا تتركوني وحيداً في المنزل مرّة أخرى.. تمتم يزن وهوخائفاً.

ـ ومن الذي تركك وحيداً يا بني جميعاً بجانبك.

ـ إنها أنا يا آدم لقد ذهبت كي أجلب شيئاً من محل الذي دللتني عليه لطرد النمل من المنزل، كل الذي غبته عنه لا يتعدّى الساعة، لقد أعطيته دواء للصداع حينما قال لي بأن لديه صداع قوي، فأعطيته الدواء وكان مستلقياً على السرير وطلبت منه أن ينتظرني وحسب.

ـ حسناً حسناً، سوف نفهم منه الآن لا بأس.

ـ هيّا يا يزن أخبرنا بما حصل عندما ذهبت والدتك، هل خفت من بقاؤك وحيداً، لقد أصبحتَ شاباً يا بُني أما زلت تخاف كالأولاد الصغار.

رمقت آدم بنظرة عتاب عندما سمعته يقول له كالأولاد الصغار.

ـ عندما ذهبت أمي كنت مستلقياً كي ارتاح من الصداع الذي كان لايفارقني، وفجأة لمحت شخصاً قد مرّ من أمام غرفتي.

ـ شخصاً، هل أنت متأكد من ذلك.

ـ نعم يا أبي.

ـ لكنّي قد أقفلت باب المنزل عند ذهابي وأنا متأكدة من ذلك يا آدم.

ـ من الممكن أن يكون قد نَزِل من السطح كما تعلمين فمنزلنا أرضي وما من سكن فوقنا.

ـ كلّا يا أبي لم يكن شخصاً عادياً.

عندما نطق بتلك الجملة نظرنا في وجه بعض أنا وآدم.

ـ لقد كان كالشبح قد مرّ من أمام باب الغرفة.

ـ لا تقلق يا عزيزي لا وجود للأشباح على الإطلاق من الممكن أنك بدأت أن تتوهم ألم تقل أن لديك صداع.

ـ لا يا أمي لم يكن وهماً قلت لك لقد رأيته، في البداية قلت لنفسي ذلك وحاولت اقناع نفسي بأنني أتوهم، لكن بعد مرور ربع ساعة رأيته من جديد يمّر من أمام باب الغرفة، وبعد ذهابه نهضت من سريري مسرعاً كالبرق وأغلقت الباب على نفسي وحاولت الاختباء.

ـ حسناً يا بني استلقي وارتاح جيداً ولا تفكر في هذه الأمور سنكون بجانبك طيلة الوقت يا عزيزي، ولا تخف ما من شيئاً في المنزل، أعدك بأنك لن تبقى وحيداً بعد اليوم، هيّا استلقي الآن وارتح جيداً.

خرجنا من غرفته وكنا مصدومين مما قصصه علينا يزن، مشينا نحووسط أرض الديار وجلسنا على الكراسي المتواجدة حول النافورة وبدأنا الحديث عن يزن.

ـ ما رأيك فيما سمعت يا آدم، هل من المعقول أن يكون كلامه صحيحاً.

ـ أيّ كلام يا رغد، هل تقصدين بوجود أشباحاً في المنزل، أرجوك يا رغد لا تضحكيني. قهقه ضاحكاً.

ـ لماذا تضحك يا آدم أرجوك كن جديّاً قليلاً نحن هنا نتحدث عن ابننا.

ـ أرجوكي أنتي فكري بعقلانية أكثر، هل تصدقين كلامه يا رغد، يجب أن أذكرك بأنه لا وجود للأشباح هنا حسناً.

ـ أنا أعلم بذلك، لكن ما قاله يزن لقد جعلني أُجَنْ وأفكر في نفس تفكيره، ما الذي خطر بباله إذاً التكلم عن الأشباح بالذات، هل فعلاً رأى شبحاً أم كان يتوهم فحسب.

ـ بالطبع كان يتوهّم فحسب يا عزيزتي، لا تنسي بأن يزن متعب، أنسيتي ليلة البارحة ما الذي حصل له.

ـ لا لم أنسى ذلك وما زال الموضوع يشغلني أيضاً.

ـ أرجوكي لا تزيدي الوهم وهماً، يكفي هذا، سوف أقوم بأخد يزن للمستشفى لإجراء فحوصات شاملة لعلّه يعاني من أمرٍ ما يجعله يتصرّف بهذه الغرابة.

ـ متى سوف تأخذه إذاً.

ـ الآن.. أجاب آدم.

ـ حسناً سوف أنهض وأجهّز يزن وسوف نذهب سوياً للمستشفى، لن أدعكم تذهبون وحدكم سوف أقلق كثيراً ريثما

ترجعوا بينما إن ذهبت سأطمئن أكثر.

_ لكِ ذلك، هيّا قومي بتجهيزه في الحال وجهّزي نفسك أيضاً.

_ أنا جاهزة أساساً، لن أتاخر انتظرنا هنا.

-١١-

عند المساء كنا جالسين انا وآدم نتاوب الحديث فيما بيننا حول النافورة وسط أرض الديار، كان الطقس جميل جداً محمّل بريح باردة والتي كانت تجذب لنا هواء الأشجار النقي المتواجد منً حولنا، كلّ شيء كان جميل عدا مزاجنا، لقد كنا في حالة يصعب علينا أن نفهمها نحن الاثنان، فحال يزن قد أقلقنا جداً، عندما ذهبنا إلى المستشفى لإجراء الفحوصات والتحاليل ليزن اكتشفنا أنه لا يعاني من أي مرض ولا أي نقص حتى، توقعنا ظهور نقص في الفيتامينات مما أدى لظهور كدماتً زرقاء على جسده، لكن كلً شيء بات سليماً، بالطبع هذا شيء جيد بالنسبة لنا، لكن أمره قد حيرنا أنا وآدم، إن كانت جميع الفحوصات سليمة، وجميع التحاليل سلبية، فما الذي يجري مع يزن إذاً، ما سبب ظهور الكدمات الزرقاء وماهوسبب هذه الكوابيس المزعجة وما سبب الأشباح التي يراها والتي قد حدثنا عنها، هذا ما كنّا نتحدث حوله أنا وآدم، لم يبق أي سبب بداخلنا سوى أنه من الممكن أن يكون مرضٌ نفسي قد عانى منه بعد المشكلة التي حصلت بينه وبين تيم وعندما قد تم فُصله

من المدرسة أيضاً.

_ ما الذي علينا فعله الآن يا آدم، هل برأيك أن نأخذ يزن لإحدى الدكاترة المختصّة في الأمراض النفسية أم ماذا.

_ أقترح ذلك أيضاً، في صباح الغد سوف آخذه معي إلى المستشفى لديّ صديق هناك وهوطبيب مختص في الأمراض النفسية حاصل على شهادات عليا، أي أنه جيد جداً في مجال عمله، سوف أدعه يتكلم معه ويحاول فهم ما يحصل ليزن، أرجوا أن تظهر الأسباب الحقيقة عند هذا الطبيب وأن يقدر على أن يريح يزن من هذه الأزمة التي يمّر بها.

_ أرجوا ذلك يا عزيزي، سوف أذهب معكم إذاً.

_ كلّا، ذهابك لن يفيد بشيء لأنني سوف أوصل يزن لعيادة الطبيب وأنتظره في الخارج، لن أدخل معه العيادة، يجب أن يتحدثا على إنفراد فيما بينهما، فمن الممكن أن يخجل يزن من وجودي ولن يتكلم في كل شيء بداخله، إن بقي لوحده مع الطبيب سيكون أفضل بكثير.

_ لكني لن أرتاح بوجودي في المنزل، يجب أن أذهب معكم لأطمئن أكثر.

_ أرجوكي يا رغد، افهميني جيداً فهذا من أجل يزن، وأيضاً

لن تستطيعي الذهاب لأننا سوف نذهب باكراً جداً ما يقارب عند الساعة السابعة ونور سوف تكون في المنزل في هذا الوقت، لن تتركيها وحدها هنا، ابقي معها ريثما يحين وقت ذهابها إلى المدرسة، نور لم تعجبني نفسيتها أيضاً، تبدومرهقة منذ أن رأت يزن بهذه الحالة تلك الليلة.

ـ لا تقلق على نور هي حزينة على أخاها لا أكثر، عندما يتحسّن حال يزن سوف تتحسّن هي أيضاً.

ـ أرجوا ذلك يا رغد، لقد تأخر الوقت والطقس أصبح باردٌ جداً هيّا أما حان وقت النوم.

ـ إذهب أنت يا آدم، أنا سأنام هذه الليلة بجانب يزن أخاف أن يحتاجني بشيء، إن ذهبت ونمت في غرفتي لن يغفولي جفن.

ـ حسناً إذاً تصبحين على خير.

ـ تصبح على خير يا عزيزي.

صعدنا سوياً نحوالدرّج المتواجد في أرض الديار والذي يؤدي إلى غرف النوم في الأعلى، أول غرفة كانت لي ولآدم وبجانبنا غرفة نور ومن ثم يزن، وفي آخر الممر الباب المؤدي إلى السطح.. دخلت غرفة نوم يزن ورأيته نائمٌ بعمق وهذا ما جعل قلبي يرتاح، استلقيت بجانب يزن على السرير ونمت في ثبات عميق خلال دقائق.

عند مايقارب الساعة الثانية بعد منتصف الليل استيقظت على صوت قوي قد افزعني، كان كصوت حطام شيء ما، نظرت ليزن بجانبي فلم أجده، فزعت خوفاً ورحت أركض مسرعة نحوالخارج كي أبحث عنه، فلم أراه بالممر، نظرت وإذ بباب السطح مفتوح، هنا قد بدأت الأفكار الخبيثة تراودني دلفت مسرعةً إلى السطح وصعدت على الفور لأبحث عن يزن لكن من غير فائدة، لم أجده أيضاً.. لا بد أنه ذهب إلى الحمّام قلت في نفسي، فنزلت على الفور من السطح ومشيت الممر ومن ثم نزلت على الدرجٍ ذاهبةٌ نحوالحمام كي استفقد حال يزن، هنا كان الطقس سيء جداً والأمطار غزيرة وأرض الديار تسبح بمياه الأمطار، عندما نزلت آخر درجة كدت أن أفقد وعيي من هول ما رأيت، لا هذا ليس صحيحاً إنه ليس يزن، دويت صرخةً عاليةً جداً جعلت آدم ونور يستيقظان على الفور، كانا في الأعلى أدلفا قليلاً وهم ينظرون إلى الأسفل كي يسألونني عن سبب هذا الصراخ، لكن الخرس قد أصابهم فجأة عندما رأوآدم يسبح بدماءه على الأرض ومياه الأمطار تغطيه تماماً فنزلا إليّ على الفور، لقد صرخت بأعلى صوتي وأنا أنادي يزن ركضت مسرعةً نحوه وجثوت أرضاً، رفعته من على الأرض وأنا أبكي بشدةً أحسست بشيءٍ عالق في حلقي، جاء آدم من ورائي وقام بفحص يزن لقد وضع أصابعه حول عنقه ليتفقد نبض يزن

إن كان ما زال حيّاً أم لا.

_ أخبرني يا آدم هل هوحيّ، هل يتنفس أرجوك أخبرني.

آدم مطأطأً رأسه إلى الأسفل وقد بدأ يجهش بالبكاء وهويحتضن يزن، ومن خلفه نور تصرخ بشدة وتكاد أن تفقد وعيها من شدّة بكائها.

_ أنت تمزح معي يا آدم صحيح، أخبرني أنك تمزح معي، يزن لم يمت، يزن لم يمت أرجوك، بُني هيّا يا عزيزي والدتك بجانبك هيّا استيقظ افتح عينيك في الحال يا عزيزي أرجوك، يزن عزيزي أنت نائمٌ فحسب صحيح، لست ميت أرجوك كفّ عن المزاح مع والدتك واستيقظ على الفور هيّا.

_ كفى يا رغد أرجوكي كفى، لقد توفي يزن، قالها آدم وهومنهار من شدّة بكاءه.

_ أنت كاذب، يزن لم يمت إنه نائمٌ فحسب ابتعد عني وعن ولدي، انت مخادع ولدي حيّ لكنه نائم.

في هذه اللحظة قد تلقيّت صفعةً قوية من آدم كان قد صفعني إياها كي أصحوا مما أنا فيه، فنظرت إلى الأرض من حولي كانت مغطاةٌ بدماء يزن، رفعت يديّ وإذ بدماء يزن قد سالت من يدي، لحظات وقد أغمي عليّ وأنا محتضنةٌ يزن بين يدي.

-١٢-

بعد مرور عدة ساعات من تلك الحادثة السوداوية كان الصباح قد طلع، استيقظت فجأة رأيت نفسي مستلقيةً على فراشي، نهضت بصعوبة فالصداع يكاد أن يقتلني، ظننت أن كل ما حدث كان كابوساً فظيعاً، فتذكرت فجأةً.. لقد نمت البارحة بجانب يزن لماذا أنا في غرفتي الآن، قلت في نفسي.. فنهضت مسرعةً نحو باب الغرفة ودخلت غرفة يزن فلم أرى أحداً، نظرت من الأعلى فرأيت آدم وبجانبه نور بصحبة رجال الشرطة، كدت أن أموت في هذه اللحظة، إذاً هذا لم يكن كابوساً لقد مات يزن.. قلت في نفسي، صرخت بأعلى صوتي مناديةً يزن، فنظر آدم إلى الأعلى ورآني فصعد على الدرج مسرعاً ومن خلفه نور، عندما وصل ركض نحوي مسرعاً وعيناه غارقةً بالدموع وعانقني على الفور وحاول تهدئتي وانضمت له نور وعانقتني وهي بحالة يرثى لها أيضاً والدموع لا تفارق وجهها.

ـ أين أخاكي يا نور أجيبيني الآن، آدم عزيزي أتوسل إليك خذني إلى يزن في الحال أريد رؤيته ومعانقته، أكاد أموت إلى الآن لم

أصدق ما حصل، كيف سأتحمل خسارة يزن، آآه يا بني كيف تفعل هذا بنفسك، كيف قمت بإسقاط نفسك من السطح.. لماذا فعلت هذا.. لماذا قمت بحرق قلبي.. كيف سأستطيع التنفس من دونك يا حبيب أمك.. كيف سأتقبّل غيابك يا روح أمك، أرجوك خذني إليه يا آدم.

ـ هدئي من روعك يا رغد، أتوسل إليكِ يا محبوبتي كفاكِ قهراً، سوف تموتين في أرضك.

ـ أتمنى ذلك يا آدم، أتمنى أن أموت في الحال كي أبقى بجانب ولدي محبوبي.

في هذه اللحظة كان ضابط الشرطة وبعض مرافقيه قد صعدوالدّرج متّجهين نحونا.

ـ أرجوا المعذرة سيد آدم لكن يجب أن نكمل التحقيق في حادثة انتحار ولدكم (تمتم ضابط الشرطة قائلاً).

ـ ألم ترى حال زوجتي أيها الضابط أرجوك انتظر قليلاً، هيّا يا رغد سوف آخذك إلى الغرفة كي تستريحين.

ـ لا أريد أن استريح، أريد رؤية يزن في الحال.

ـ عزيزتي يزن قد رحل لن تستطيعي رؤيته الآن لقد جاءت

سيارة الإسعاف وأخذته للمستشفى من أجل فحوصات الطبّ الشرعي لحادثة وفاته.

_ خذوني لهناك إذاً.

_ لن نستطيع ذلك يا رغد، هيّا أرجوكي كفاكِ عناداً أرجوك أيها الضابط ساعدني في حملها إلى الغرفة.

_ كلّا، لن أدخل الغرفة يا آدم هل تسمعني لن أدخل الغرفة، أريد الذهاب عند يزن في الحال.

_ تعال وامسكها أيها الضابط ريثما أحضر مهدئاً لها.

_ كفاكً مهدئات يا آدم لن آخذه على الإطلاق، ألا تعرف شيئاً غير المهدئات، أهذا ما تعلمته من مهنتك، ألا تفكر في ولدك على الإطلاق ألا تريد رؤيته.

في هذه اللحظة قد جاء آدم حاملاً بيده ابرة المهدئ وقام بحقني بها بصعوبة بسبب عدم رغبتي في ذلك، لكنّ الضابط قد ساعده على تثبيتي وما هي إلا دقائق وأصبحت لا أشعر بجسدي.

نظرت للساعة بجانبي فرأيتها الواحدة والنصف ظهراً كنت استيقظت في هذا التوقيت يبدوأنني قد نمت بثبات عميق بسبب تلك الإبرة المهدئة المشؤومة التي أعطاني إياها آدم.. قلت في نفسي،

حاولت النهوض لكنّ رأسي ما زال ثقيلاً بسبب ذلك الصداع القوي الذي يلازمني، خرجت من الغرفة سمعت صوت نور من داخل غرفة يزن، فتحت البال الغرفة ورأيتها مستلقيةً على سرير أخاها باكيةً ومن جانبها آدم يحاول تهدئتها ويداعب شعرها، يبدوكالصخر من الخارج لكنّ في عينيه نظرة حزن يبدوأنه مكسور بشدّة بسبب فقدانه لإبننا، أظن أنه يحاول المحافظة على مشاعره أمام نور يحاول تهدئتها لكن هذه النظرات وهذه العيون أعرفها جيداً إنه يمسك نفسه بصعوبة، هكذا هم الرجال.. من الخارج يبدون كالصخر الذي لا يحطّم لكن من يستطيع الوصول والنظر لداخلهم ستجد أن هناك الكثير من المشاعر المتراكمة ستجد الكثير من الهموم والمتاعب وستجد المعنى الحقيقي بأن يفقد الأب ولده الوحيد، دخلت الغرفة وسمعت نور صوت أباها وهوينطق اسمي.

_ عزيزتي لقد استيقظتي وأخيراً.

_ أمي أرجوكي ألا تتركيني.. نور قائلةً.

كفاكِ بكاءً يا نور، إنها مشيئة الله سبحانه وتعالى، أدعوا لأخاكي بالرحمة.

حاولت أن أمسك نفسي بقوة أمام نور لأنها منهارةٌ تماماً، لا

استطيع خسارة ولدين معاً، يجب أن أكون قوية بما فيه الكفاية لأجل ابنتي.. قلت هذا في نفسي.

_ رغد كنت انتظر بأن تستيقظي، يجب علينا الذهاب إلى المستشفى لاستلام جثمان يزن ودفنه قبل حلول المغرب.

_ حسناً فلنذهب في الحال، هيّا يا عزيزتي نور كوني قويّة.

خرجنا من المنزل ونحن في أسوء حالاتنا وعند خروجنا نظرت أمامي لمحت هدير واقفةٌ خلفَ نافذتها من الأعلى فمنزلها أمام منزلنا بالضبّط.. بدت وكأنها سعيدة لا أعلم هل تشمت بموت يزن أم أن هناك شيئاً آخر، حدّقت في عينيها بصرامة وبدأت بالصراخ عليها.

_ هل أنتي سعيدة الآن أراكِ تبتسمين أيتها المجنونة، هل ارتحتي الآن لقد رحل يزن الآن لقد رحل ولدي، أراكِ تبتسمين خلف نافذتك أيتها الغبية التافهة.

_ أرجوكي هدئي من روعك يا رغد.. تمتم آدم قائلاً وهوماسكاً بيدي.

في هذه اللحظة كانت هدير قد أغلقت ستارة النافذة واختفت.

_ لا تنظرين إليها على الإطلاق يا رغد وحاولي تجاهلها فحسب، هذه امرأةٌ مجنونة، لا بل مريضة، دعك منها.

_ لكنها كانت تبتسم يا آدم، تبتسم وكأنها تشمت.

_ دعكِ منها فهذه لا رحمة بقلبها.

أكملنا طريقنا مشياً على الأقدام في هذه الشوارع القديمة التي تكسوها الحجارة القديمة لكني أراها الآن سوداء اللون، كل شيء من حولي أسود، أشعر بفقدان الإحساس لمعرفتي باقي الألوان، بداخلي جبلٌ من الحزن من الصعب إزاحته، أمشي من غير حتى أن أشعر بقدميّ، بدأت أفقد الشعور في كلّ شيء تقريباً، أترنّح يميناً يساراً ولولا آدم ممسكاً بي لكنت قد وقعت أرضاً، ظللنا هكذا إلى أوقفنا سيارة الأجرة.

-١٣-

ها نحن الآن في المقبرة ومراسم الدفن قد انتهيت، لكن الناس ما زالت موجودة من حولي آدم ونور وبعض الجيران ومدير المدرسة مصطحباً معه بعض طلّاب المدرسة الذين يحملون ليزن المحبة بداخلهم، جميعهم قد بانت عليهم مشاعر الحزن والفقدان، لكن مهما بلغ حزنهم حزناً فلن يكون بحجم حزني على فقدان ولدي.. الناس قد بدأت بالذهاب واحداً تلوالآخر وعند خروجهم قدّموا عزائهم لنا ، بقينا عند قبر يزن أنا ووآدم ونور أيضاً، جميعم قد ذهبوا

آآه يا عزيزي كيف سأتقبل موتك وغيابك عنّي لقد حرقت قلبي يا بُني.

انحنى آدم أرضاً واربت على كتفي حاول أن يهدئني والدموع تغرق عيناه لكنه يحاول أن يبقى قوياً من أجلنا هذا ما يبدوعليه.

ـ رغد هيّا بنا يا عزيزتي فلنذهب الآن ولنعد في وقت آخر، نور حزينة جداً ويجب ألا نبقيها هنا أكثر حالتها تسوء شيئاً فشيئاً، هيّا يا عزيزتي تمالكي نفسك.. قالها بصوت منخفض.

_ كيف سأتمالك نفسي يا آدم والذي توفي هوفلذة كبدي ولدي العزيز.. آآه يا بني كم عانيت قبل موتك فليرحمك الله يا عزيزي، لا تقلق سوف أدعوا لك بالرحمة وسأزورك دائماً.

نهضت من أمام قبر يزن والتفت خلفي رأيت نور بحالةٍ يرثى لها فذهبت إليها وعانقتها بشدة.

_ كفا بكاءاً يا نور، هيّا بنا فلنذهب إلى المنزل.

_ لا أريد الذهاب يا أمي سوف أبقى بجانب أخي.

_ لا يا عزيزتي يجب أن نذهب الآن، أعدك بأن نزوره في يوم الغد هيّا.

التفتنا نحومخرج المقبرة دون أن أنظر لخلفي، فإن رأيت قبر يزن مرة أخرى فلن أستطيع الذهاب الآن، لولا نور لبقيت هنا طوال عمري بجانبك يا بني.. ركبنا سيارة الأجرة من أمام المقبرة وقصدنا الذهاب إلى المنزل، وفور وصولنا رأينا ضابط الشرطة ومعه اثنان من مرافقيه يبدوأنه سيكمل التحقيق من جديد، وصلنا أمام باب المنزل وبدأ الضابط بتقديم نفسه لنا.

_ مرحباً، أنا الضابط رأفت المكلّف بالتحقيق في قضيّة انتحار ولدكم، آسف لخسارتكم وأرجوا منكم المعذرة أعلم أنكم في حالة صعبة لكن التحقيق يجب أن ينتهي.

_ أهلاً بك، حسناً تفضّل بالدخول أيها الضابط.. قلت له.

دخلنا المنزل بدا لي كئيب جداً بغياب يزن، جدرانه بدت حزينة بالنسبة لي والأشجار بانت عليها الحزن أيضاً، توجهنا نحوغرفة الضيوف وجلسنا جميعاً عدا الشرطيان اللذان مع الضابط قد بقيا عند مخرج الغرفة واقفان أمام الباب كالحرس، ونور أساسا قد طلبت منّا الإذن للذهاب إلى غرفتها كي تستريح.

_ تفضّل أيها الضابط يمكنك البدأ.. طلب منه آدم ذلك.

_ لن آخذ من وقتكم الكثير فلديّ بعض الأسئلة لا غير،

هل بدا على يزن بعض التصرفات الأخيرة في الآونة الأخيرة، وهل واجه مشكلة ما جعلته يصل إلى نقطة الإنتحار.

_ نعم أيها الضابط ففي الأيام الأخيرة قد تغيرت تصرفاته كثيراً.. أجبته قائلةً.

_ ماذا تقصدين بالضبط بأن تصرفاته قد تغيّرت.. ردّ الضابط.

_ بدأ كلّ شيء عندما واجه يزن مشكلة في المدرسة منذ فترة، تعرّض للتنمّر بشكل كبير مما أدى إلى سوء حاله النفسي، وبعدها جاءت مصيبة صديقه تيم من المدرسة والذي سقط من أعلى درج المدرسة في البداية كان تيم قد اتّهمه في ذلك وبعدها انصلحت

الأمور فيما بينهم واصبحوا أصدقاء من جديد، لكن بعد ذلك بدأت تصرفات يزن تتغير شيئاً فشيئاً وبدأ برؤية كوابيس مزعجة حتى أنه حاول خنقي أثناء نومي.

_ حاول خنقك... كيف ذلك.

_ نعم أيها الضابط حاول خنقي، لكنه لم يكن في وعيه على الإطلاق، قمنا بأخذه إلى المستشفى وقمنا بعمل جميع الفحوصات والتحاليل اللازمة لكن جميعها كانت سليمة، قررنا بعد ذلك أخذه إلى طبيب نفسي لكننا لم نلحق ذلك لقد انتحر في صباح اليوم الذي كنّا سنأخذه فيه، وأيضاً هناك شيئاً قد عانى منه يزن، منذ أيام كنت ذاهبة لأشتري دواءاً لطرد النمل من المنزل بعد انتشاره بشكل فظيع، وعند عودتي كان يزن مغلقاً على نفسه أيضاً وهنا بدوري اتصلت بآدم كي يأتي إلى المنزل ليساعدني في فتح الباب، وعندما فتحناه رأينا يزن مختبئ أسفل سريره والسبب بأن يزن قد قال لنا بأنه رأى شبحاً.

_ شبحاً... استطرد الضابط ذلك

_ نعم، نحن نعلم أن هذه الأمور غير موجودة بالطبع، لذلك لم نأخذ الوضع على محمل الجد كنّا قد فكرنا بأنه تعب نفسي لا أكثر.

مرت دقائق صمت عندما انتهيت من كلامي، وطُرِق باب

الغرفة، وإذ بالشرطي المرافق قد طلب إذن الدخول من سيّده، فوافق على ذلك.

_ هل أستطيع التحدث أيها الضابط.. استأذن الشرطي.

_ تفضّل قل ما لديك يا بني.

_ آسف على التطفل ولم أقصد على الإطلاق اختلاس سماع حديثكم لكن صوتكم قد وصل إلى الخارج أثناء الكلام، عند سماعي أقوال السيدة بدأت أتذكّر حادثة ابن خالي الذي عانى من نفس المشكلة بالذات، تغيّرت تصرفاته فجأة وبدا عصبياً جداً وبدأ يعاني من الخنقة بداخله ورؤية الكوابيس المزعجة، كان خالي وزوجته قد أخذوه عند شيخ واتضح أنه مسحور.

عند سماعنا كلمة مسحور وقفنا انا وآدم لا شعورياً وذهلنا مما سمعنا.

_ لا أعتقد ذلك، فمن الذي سيسحر شاباً في مقتبل العمر، عدا عن ذلك ليس له أيّ عداوة.

_ أرجوا المعذرة يا سيدة لكن من واجبي اخباركم، عدا عن ذلك أقترح عليك بالتفكير ملياً في هذه المسألة، فمع مرور الوقت اكتشفوا وجود السحر داخل غرفة ابن خالي.. وهناك شيئاً آخر يا سيدة انتشار النمل في المنزل بشكل كثيف فجأة يعد من إحدى

علامات السحر في المنزل.

_ حسناً يا بني انصرف الآن.. أمره الضابط.

_ هل من الممكن أن يكون كلامه صحيحاً يا سيد آدم.

_ لا أعلم، هل هناك من يسحر شاباً صغيراً أصلاً.

_ من زاركم في الفترة الأخيرة، هل هناك أحداً قد دخل بيتكم قبل وفاة يزن بأيام مثلاً.

_ لا، لم يأت أحد.. مهلاً انتظر، اتتذكر يا آدم.

_ ماذا.

_ عندما قلت لك في ذلك اليوم عند رجوعي أنا ويزن من زيارة تيم في المستشفى كنّا قد رأينا باب المنزل مفتوح.

_ أتذكر ذلك جيداً، لكن ما علاقة هذا الأمر بالسحر.

_ كيف ما علاقته يا سيد آدم، من الواضح أن هناك من دخل منزلكم ووضع السحر لإبنكم لي المنزل.. تمتم الضابط قائلاً.

_ يا إلهي، كيف لم يخطر ببالي شيئاً كهذا يا آدم.

_ وكيف لك أن يخطر ببالك أمر كهذا يا سيدة رغد، بعد أن اتضحت الأمور أقترح بتفتيش المنزل والآن، وفي الأخص غرفة

يزن، إن كان كلام الشرطي صحيح فسوف نجد ما يدّل على وجود السحر.

في هذه اللحظة أمر الضابط الشرطيان بتفتيش غرفة يزن وتوجّهنا جميعاً نحوالغرفة.

_ إن رأيتم أيّ شيء غريب أخبروني على الفور.

ظلّوحوالي النصف ساعة داخل الغرفة يبحثون ويبحثون لكن من غير فائدة، لم يصادفوأي شيء قد يدل على وجود سحر، كانوا قد فتشوا جميع غرف المنزل وأرض الديار لكن لا وجود لشيء وهنا التفت الضابط نحونا واستأذننا بالرحيل.

_ أعتقد أن كلام الشرطي خاطئ لا وجود للسحر يا سادة، وسبب انتحار يزن هوبأنه كان مريضاً نفسياً وهذا ما أدى لتفكيره بالأنتحار، أقدّم عزائي الخالص لكم واستأذنكم بالرحيل الآن.

_ حسناً وشكراً لك أيها الضابط.. قالها آدم

أداروأدراجهم واتّجهوا نحوباب المنزل برفقة آدم حيث قام بتوديعهم.

_ ما رأيك فيما سمعت يا رغد.

_ لا أعلم، لكن حتى وإن كان صحيحاً ما الفائدة من ذلك الآن

فولدي قد رحل ولم يعد أبداً يا آدم.

_ كلامك صحيح يا رغد، هيّا فلنصعد إلى الغرفة ونرتاح قليلاً، اسبقيني انتي سوف أذهب لأطمئن على نور والحق بك.

_ لا، سوف أستلقي على فراش يزن يا آدم، اذهب انت واطمئن على حال نور.

دخلت غرفة يزن رأيتها كما هي، سريره على حاله، استلقيت على السرير وبدأت أشتم رائحة وسادته والدموع لا تفارقني، فنهضت فجأة وتذكرت تلك الخبيثة هدير، هل ياترى هي من افتعلت السحر ليزن، إنها مجنونة ومختلة عقلياً وليس بعيداً أن تفتعل أمراً شنيعاً كهذا.. قلت في نفسي.

يجب عليّ أن أتأكد من ذلك فإن كانت السبب في ذلك سوف أقتلها بيدي هاتين.. نهضت من على السرير ونزلت إلى أرض الديار متوجّهة نحوباب المنزل، ها أنا الآن أقف أمام باب منزلها، طرقت الباب فلم يجبني أحد في البداية، عاودت طرق الباب من جديد فرأيتها تدلي رأسها من الأعلى من نافذة الغرفة فطلبت منها فتح الباب على الفور، انتظرتها حوالي خمس دقائق ريثما سمعت وقع أقدامها تقترب من خلف الباب وفتحته.

_ ماذا تريدين لماذا جئت إليّ.

ـ من الواضح أنك أنتي من فعلتيها أيتها المجرمة، حتى أنك لم تعزيني بولدي، هذا دليل واضح على أنك قد فعلتها لطالما تمنيتي الشر ليزن لماذا فعلتي هذا به، ما الذي يجعلك تؤذين شاباً في مقبل العمر عدا أنه لم يؤذك بشيء.

ـ لم يؤذني بشيء، هل أنتي جادةٌ في كلامك، إن كنت تذكرين بأن لي ولداً أيضاً وهوالآن مستلقياً في المستشفى بسبب ولدك الغبي ذاك، أعتقد أنه قد أخذ نصيبه، كان عليه عدم التعرّض لتيم.. من يؤذي ولدي بأيّ شيء سوف تكون نهايته وخيمة أيتها السيدة، وهذا ما استحقه ذاك المسخ.

لم أتمالك نفسي عندما سمعتها تنتع يزن بالمسخ والغبي، انقضيّت عليها وامسكتها من رقبتها وحاولت خنقها وكادت أن تموت بين يدي لولا تدخّل الجيران، وهنا قد جاء آدم من خلفي كان قد سمع صوتي من نافذة غرفة نور المطلة على الشارع، أمسكني وحاول تهدئتي وادخالي إلى المنزل.

ـ اتركني يا آدم هذه المجنونة هي من تسببت في قتل يزن، ويجب أن تموت في الحال.

ـ ما الذي تقولينه يا رغد، هل فقدتي صوابك.

ـ كلا لقد اعترفت بذلك أمامي الآن وهي من تسببت في انتحاره

لم تنكر ذلك على الإطلاق كانت قد قالت لي بأنه استحق هذا.

عندما سمع آدم هذا الكلام مني افلتني وانقضّ على باب منزلها وحاول خلعه لولا تدخّل بعض الرجال.

_ سوف أعود لأنتقم منك أيتها المختلة أيتها القاتلة، سوف أجعلك بأن تتمني رؤية الشمس وستتعفنين في السجون.

_ كلّا، لن نذهب إلى الشرطة يا آدم، هيّا فلنذخل المنزل الآن.

دخلنا المنزل وبدأ بالصراخ بصوت عالي مما أدّى صوته لإيقاظ نور من نومها كنت قد رأيتها على واقفة الدرج، فطلبت منها العودة إلى غرفتها في الحال وإكمال نومتها كي تستريح فعاودت أدراجها إلى غرفتها وأغلقت الباب من خلفها بقوّة.

_ ما الذي ستقوله للشرطة يا آدم، ألديك دليل حول تلك المختلة عقلياً بأنها هي من افتعلت سحراً لتؤذي يزن، بالطبع لا، إذاً فلنجلس ونقرر سوياً ماذا سنفعله تجاه تلك القاتلة.

_ لا، لن أنتظر ولن أجلس أيضاً هذه المجرمة يجب أن تعاقب والآن.

_ اسمعني جداً أرجوك وأنا أريدها بأن تعاقب أيضاً لكن اسمعني اترك الموضوع لي فقط للغد وأنا سأخبرك فيما أفكر.

_ لماذا للغد، هل لديك الصبر الكافي لتنتظري الغد.

_ هذا أفضل يا آدم، هيّا اصعد لغرفة نور واطمئن عليها وأنا سأنام قليلاً في غرفة يزن.

_ حسناً، سأفعل ذلك، لكنني لست مرتاحاً أبداً فبداخلي شعوراً بخنق وقتل تلك السيدة.

_ هدئ من روعك يا آدم، سوف تنال عقابها أعدك بذلك.

-١٤-

كانت الساعة الثالثة فجراً عندما نهضت من السرير، انتظرت كثيراً هذا اللقاء حيث لم يغمض لي جفن وأنا انتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر، خرجت من الغرفة خلسةً كي لا ينتبه إليّ أحد وكي لا أوقظ نور وآدم، نزلت الدرج خلسةً وصرت في أرض الديار، توجّهت لأسفل الدرج وأخذت علبة البنزين التي اشتراها آدم منذ فترة لإزالة بقع الشحوم من على جدران المطبخ، مشيت نحوباب المنزل وبدأت اختلس النظر إلى الشارع كي لا يراني أحد، مشيت نحوباب منزل هدير.. وضعت علبة البنزين على الأرض وبدأت بخلع القفل بالمفك الذي جلبته معي وبقيت ما يقارب العشر دقائق أحاول خلع قفل الباب، توقعت أن يُخلع مباشرةً لأن الباب قديم وقفله مهترئ تقريباً، بعد العشرات من المحاولات كنت قد كسرت القفل، التقطت علبة البنزين من على الأرض ودخلت المنزل خلسةً وأغلقته من ورائي ببطء، المنزل عتم جداً جميع الإنارة كانت مغلقة وصلت لأرض الديار وصعدت درج المنزل متوجّهة نحوغرف النوم في الأعلى، فجميع المنازل العربية في حلب تتشابه

ومنزلها مشابه لمنزلي تقريباً، وصلت للممر المؤدي إلى غرف النوم كانت غرفةٌ واحدة فقط مفتوحة أعتقد أنها غرفة هدير وبجانبها غرفتان مغلقتان، اختلست النظر إلى غرفتها فرأيتها نائمةً على سريرها، أعتقد أنها ستنام لآخر العمر الآن، بدأت برشّ البنزين أمام غرفتها حاولت إيصال البنزين إلى داخل غرفتها قليلاً تدريجياً إلى بداية الدرج من الأسفل، ثم أخرجت من يدي عود الثقاب وأمسكتها بيدي، ترددت قليلاً في إحراقها لكنها لم تترك لي خيار آخر، آسفةٌ يا تيم والدتك المجنونة تستحق أن تموت، أعدك بأنني سأكون لكَ أمّاً حنونة وسوف أرعاك كما رعيت يزن من قبلك..

ليت كل هذا لم يحدث، وليتني لم أقف بجانب تيم منذ البداية وأخبرت هذه المجنونة بأن يرن بريء حينما طلبت منه أن يعتذر لها.. سينتهي كل شيء الآن وسوف آخذ بثأرك الآن يا عزيز أمك وسأجعلها تندم لأنها تسببت في انتحارك، فبعود الثقاب هذه ستنتهي القصة.

أشعلت عود الثقاب بيدي ورميتها على البنزين المرشوش وبدأت النيران تتصاعد على الدرج واصلة لغرفتها، فهبّت النيران بشكل فظيع وفي هذه اللحظة أمسكت علبة البنزين بيدي وركضت مسرعةً نحوالباب وخرجت من المنزل وأغلقت الباب من خلفي لكنّه لم يغلق جيداً بسبب خلع القفل، فتحت باب منزلي ودخلت

ما زال الجميع نائم لأن المنزل عتم، صعدت الدرج ودخلت غرفة يزن وبدأت اختلس النظر من النافذة المطلّة على الشارع وإذ برجل واقف أمام باب منزلها وفجأة بدأ بالصراخ ليخبر الجميع بأن هناك حريقاً داخل المنزل وظلّ يصرخ هكذا حتى اجتمع الرجال من حوله أيضاً ودخلوالمنزل وبعد مرور ربع عشرون دقيقة كانت سيارة الإطفاء والإسعاف والشرطة أمام المنزل، تفاجئت بدخول آدم من خلفي.

_ لقد أخفتني يا آدم لماذا دخلت خلسةً.

_ ما الذي يحدث يا رغد لقد استيقظت على صراخ الناس في الشارع.

_ لا أعلم ما الذي يحدث لكنّ الرجال متجمعون حول منزل تلك المجنونة ومنذ قليل وصلت سيارة الإطفاء والأسعاف والشرطة أيضاً، يبدوأنها أحرقت نفسها.

_ كم أتمنى ذلك يا رغد، أرجوا ألا تنجوا من هذا الحريق ونتخلص منها ومن أفعالها التي تسببت بخسارة ولدنا العزيز.

_ لن تنجوا أعدك بذلك يا آدم، تعالَ وانظر من النافذة ها هم رجال الإسعاف يحملون تلك المجنونة على النقّالة وهي مغطّاةٌ بالكامل وتبدوكجثةً هامدة، برأيك ما الذي يعنيه هذا يا آدم..

التفت لآدم وأنا مبتسمةً.

_ هذا يعني بأنها قد ماتت.. قالها بسعادة

_ نعم، وبهذا أكون قد أخذت بثأر يزن.

_ ماذا قلتي .... أخذتي بثأر يزن كيف حصل هذا.

_ ألم أعدك بأنني سأحل هذه القصة من أساسها، انظر لقد وفيت بوعدي لك وحققت مرادي وأخذت بثأر يزن قبل أن ينشف تراب قبره حتى.

_ أنتي من قام بإحراق هدير ومنزلها، أكاد لا أصدق، لماذا فعلتي هذا يا عزيزتي.

_ لماذا... أحقاً تسألني هذا السؤال يا آدم.

_ كان عليكِ عدم الإقدام على فعلٍ كهذا، ما الذي سيحصل الآن.

_ بل ما فعلته هوالأصح يا عزيزي، والآن سوف أوصيك برغد انتبه لها جيداً فهي في أمانتك بعد اليوم يا عزيزي، وأوصيك بزيارة قبر يزن يومياً، وأرجوا منك أن تخبر نور بما حصل بحيث لا تكرهني لأنني سأضطر لتركها لا أعلم إلى متى.

_ لماذا تتكلمين بهذه الطريقة وكأنك ذاهبةٌ إلى مكان ما ولماذا

توصيني بنور.

في هذه اللحظة طُرقَ باب المنزل بقوة فأمسكت يد آدم وقبّلته من جبينه وأخبرته بأنني أكن له المحبة بقلبي وسأبقى كذلك، وأوصيته ب نور مرةً أخرى وبزيارة قبر يزن على الدوام.

_ أنت تخيفيني يا رغد، لماذا تتصرفين وكأنك تودعينني.

_ لأنني الشرطة الآن تطرق باب المنزل قد جاءت لأخذي معها، فعندما خرجت من منزل تلك المجنونة ودخلت منزلنا شككت بوجود رجل قد رآني وأعتقد أنه قد أخبر رجال الشرطة عنّي.

_ لا، لن يحصل هذا، لن تعترفين بهذه الفعلة على الإطلاق، سوف أحمل عنك هذه القضية بالكامل.

_ كلّا، لن تحمل شيئاً عني ولن تحميني أيضاً، نور بحاجة لك أكثر مني وأنا واثقةٌ تماماً بأنك سترعاها جيداً، وأخيراً أوصيك بتيم، أعتن به جيداً من الآن فصاعداً لم يتبقى له غيرنا في هذه الدنيا، أخبره بحقيقة ما حصل بالضبط واطلب منه أن يسامحني على فعلتي لكنني أم، ولم أتحمل ما فعلته هذه المجرمة ببُني العزيز، وها أنا الآن أصبحت مجرمةً أيضاً، إن طال غيابي يا عزيزي أرجوا أن تتزوج من امرأة أخرى لترعاك وترعى نور وتيم.

_ أكاد لا أصدق أنك ذاهبةٌ الآن.

في هذه اللحظة سمعنا خلع باب المنزل، كانت الشرطة قد فعلت ذلك لدخول المنزل ما هي إلا ثوانٍ وكانت الشرطة في الغرفة.

_ لا تتحركوا أبدا، ارفعوا أيديكم وسلموا أنفسكم في الحال.. كان قد أمرنا رجل الشرطة بذلك.

_ أنا من تبحث عنها أيها الشرطي، لا علاقة لزوجي بذلك حتى أنه لم يكن لديه علم بفعلتي هذه، فأنا من قام بإحراق المنزل وتلك المرأة.

توجّه نحوي رجلان من الشرطة وأمسكاني بشدّة وسحبونني إلى الخارج وفي هذه اللحظة خرجت نور من غرفتها وهي تناديني.

_ أمي، إلى أين يأخذونك هكذا.

_ سامحيني يا ابنتي كان عليّ فعل هذا لأجل أخاكِ، أحبك كثيراً وسأبقى كذلك، اعتنِ بنور جيداً يا آدم ولا تنسى ما أوصيتك به.

نزلنا درج المنزل ومن خلفني نور تناديني وهي تصرخ باكيةً، لم التفت إلى الخلف أبداً لأنني لن أتحمل نظراتها الحزينة، خرجنا من المنزل كانت رجال الشرطة حوالي المنزلين وهنا سيارة الإسعاف كانت قد رحلت، أما رجال الإطفاء مازالويخمدون النيران، تقريباً جميع من في الشارع كانوا مجتمعون يشاهدوا الحادث، وهنا رجال الشرطة بدورهم قد أدخلوني السيارة بقسوة يعاملونني كمعاملة

أي مجرم، عندما تحركت السيارة رأيت نور تلوّح لي بيدها وهي واقفةٌ أمام باب المنزل فلا شعورياً بدأت بذرف الدموع ومن ناحية أخرى كنت سعيدةً بانتقامي هذا، وهنا بدأت تتلاشى رؤية نور لي شيئاً فشيئاً عندما خرجنا من شارع المنزل.

ـ هل يمكنني أن أزور ابني قبل ذهابي إلى قسم الشرطة، أرجوكم أريد رؤية قبره للمرة الأخيرة.

ـ بالطبع لا يمكنك ذلك، ويفضّل أن تلتزمي الصمت.

ـ أتوسل إليكم، فقلبي ما زال مجروح على فراق ولدي، هذه السيدة هي من تسببت في قتله لذلك قمت بحرقها.

ـ لم أطلب منك أن تحدثيني عن سبب فعلتك ياسيدة، أرجوا أن تلزمي الصّمت وإلا أجبرتك على السكوت بطريقة أخرى.

في هذه اللحظة طأطأت رأسي للأسفل والحزن يتملّكني وبدأت أتكلم مع نفسي.

أرجوا أن تسامحني يا عزيز أمك، فلن أستطيع زيارتك للمرّة الأخيرة، سأدعوا بالرحمة لك دائماً يا عزيزي، هذه نهاية والدتك أيضاً لكنني سعيدة بنهاية كهذه إلى أنني في نفس الوقت حزينةً من أجل والدك وأختك، سأشتاق لهم كثيراً وسأشتاق لك أيضاً يا روح أمك.

-١٥-

بعد مضي عشر سنوات على دخولي السجن كنت قد تحررت وأخيراً، كان قد صدر الحكم بإخلاء سبيلي بعد إتمام مدة عقوبتي بالكامل، وضعت قدماي خارج قسم الشرطة وأنا في حالة يرثى لها كانت الساعة الواحدة ظهراً كدت أصاب بالعمى من شدة أشعة الشمس الملتهبة، من الطبيعي أن يكون الطقس هكذا فنحن في منتصف شهر آب وهذا من أكثر الأشهر حرّاً في الصيف، أول شيء قد خطر ببالي زيارة قبر يزن.. أوقفت سيارة الأجرة وطلبت من سائقها التوجّه نحومقبرة جبل العظام أوكما يطلق عليها البعض بمقبرة ميلسون نسبةً لإسم المنطقة والتي تعد من أكبر وأقدم المقابر في مدينة حلب، بدت لي الشوارع مختلفةً جداً بعد مرور عشر سنوات لكن ما إن وصلنا منطقة ميسلون حتى عرفتها على الفور، إنها المنطقة نفسها التي تتواجد بها المقبرة.. نزلت من سيارة الأجرة ودخلت من باب المقبرة ورأيت حارساً يقف عند البوابة، فطلبت منه مساعدتي في إيجاد قبر ولدي يزن فمن الطبيعي بعد مرور كل تلك السنوات سأنسى مكانه، أوبالأحرى قد زاد عدد القبور كثيراً

وهذا يجعل من الشخصأن يتوه، بقينا حوالي النصف ساعة نتنقّل بين القبور وحاولت مراراً أن أتذكّر موضعه لكن لا فائدة من ذلك.

_ أهذا هوالقبر أيتها السيّدة.

عندما نطق تلك الكلمة ركضت نحوالقبر متلهّفةً بشدة.

_ نعم هذا هو، أشكرك جداً لقد أتعبتك معي.

أدخلت يدي لجيبي وأعطيت أجرة تعبه معي وتشكرته كثيراً، فأخذها والتفت راجعاً من حيث أتى.

وفي هذه اللحظة قد جثوت أرضاً وبدأت بملامسة القبر والدموع تذرف من عينيّ بغزارة.

لقد غبت عنك كثيراً يا بني اعذرني، لكنني أمامك الآن ولن أفارقك، خلال هذه السنين الطويلة قد عانيت الأمرّين داخل السجن، من ناحية فقداني لك ومن ناحية أخرى والدك وأختك نور، بالرغم من زيارتهم لي في السجن كل شهر مرة تقريباً وأحياناً تمتد لشهور طويلة بسبب منعي من الزيارات لكنني كنت أقلق بشأنهم واشتاق لهم، وللمنزل، ولك يا عزيزي، كنت أتمنى ليلاً نهاراً بأن أخرج بسرعة كي أذهب إلى سريرك واحتضنه بشدّة، أتتذكر عندما كنت تأتي إليّ باكياً بسبب اختك نور التي لطالما كانت تشد شعرك بسبب غيرتها منك، يا لتك الأيام ذهبت ولن تعود أبداً

وأنت أيضاً يا بُني.

نهضت من على الأرض وقررت تنظيف القبر من الشوائك النابتة من الأرض حوالي القبر، لا أعلم هل آدم يأتي إلى هنا أم لا.. قلت في نفسي، أما كان عليه أن ينظف هذه الشوائب.. لا بأس في ذلك سأنظفها أنا حالاً وفي هذه الأثناء تفاجئت بأحدٍ ينادي بصوت عالٍ بأمي فنظرت خلفي ورأيتُ شابةً جميلة تأتي من بعيد بصحبة والدها.

آدم ونور، نعم ها هم قادمون نحوي الآن، من البعيد أرى نور تركض نحوي ومن خلفها آدم لقد تغيّر كثيراً فالشيب قد غزى رأسه وشبابه قد رحل، لا ألومه فما مرّ به ليس سهلاً لكن وإن يكن فما زالت أعشقه.. في تلك اللحظة انقضّت نور عليّ وبدأت تبكي وتشتمُّ رائحتي.

_ حبيبة أمك لقد اشتقت لهذا العناق كثيراً، كم أصبحت شابةً جميلة ألم يزوّجك والدك بعد.

_ زواج ماذا يا أمي ما زالت في سن الثالثة والعشرين.

_ عندما كنت في مثل عمرك كنت أحمل أخاكي بين يدي.

نظرت بعيني إلى آدم يا إلهي كم هَرِم مشيته قد تغيّرت ووقفته أيضاً وبدت التجاعيد تظهر في وجهه، ركضت نحوه وعانقته عناق

دام لخمس دقائق تقريباً.

_ لقد اشتقت لك يا آدم، اشتقت لك كثيراً يا عزيزي لقد طال الغياب.

_ هذا صحيح يا محبوبتي لقد طال الغياب جداً، انظري إليّ جيداً كيف أصبحت خلال غيابك، لقد أكلتني متاعب هذه الحياة وبدأت أشيب، لقد كبرت جداً يا رغد، فغيابك قد كان صعب جداً بالنسبة لي، انتظرتك كثيراً لأيام ولشهور ولسنوات، لم أنساكي يوماً واحداً وما زلت مخلصاً لك وحدك فقط. لقد اشتقت إليكِ كثيراً يا رغد.

_ آآه يا عزيزي كم عانيت، لا تقلق من الآن فصاعداً أنا بجانبك طيلة الوقت.

_ لقد تفاجئنا جداً بوجودك هنا يا أمي لم نكن نتوقع حضورك هنا على الإطلاق.

_ ألم تعجبك هذه المفاجئة يا نور.

_ بل العكس تماماً يا أمي فمن الآن قد بدأت السعادة تكتمل في حياتي، فوجودكِ أنتِ وأبي بجانبي هوكل ما أريده في هذه الحياة بعد خسارتي لأخي.

_ آآه يا يزن، لقد مرّ وقت طويل على رحيلك يا بني.

_ هوّني عليكِ يا أمي كفاكِ بكاءاً ما رأيك بالذهاب إلى المنزل وأخذ حماماً دافئ.

_ لا أريد الذهاب الآن يا عزيزة أمك لقد اشتقت لأخيك يزن كثيراً.

_ هيّا يا محبوبتي رغد سوف نرجع يوم الغد لزيارة يزن، المهم الآن أن تذهبي معنا إلى المنزل وترتاحي قليلاً.. قالها آدم.

_ لكم ذلك، حسناً فلنذهب إلى المنزل يا عزيزي.

عدنا أدراجنا خارجين من المقبرة وطلبت من آدم ونور أن نتمشى قليلاً لكنهم رفضوا ذلك قطعيّاً وأمروني بالذهاب إلى المنزل كي استريح.

_ اليوم سوف أسمح لكم بالتحكّم بي، لكن اعتباراً من الغد سوف تتغير الموازين.

_ لقد عادت والدتك يا نور وعادت تلك الأيام التي تفرض تحكّمها فينا، انظري إليّ يا رغد فمن الذي يتحكم بك يا عزيزتي، نحن نفعل هذا من أجل صحتك لا أكثر.

قهقهت نور ضاحكةً عندما سمعت كلام والدها والتفتت إلى

والدتها وأيّدت كلامه.

_ هذا صحيح يا أبي، أتفق معك بشدّة فيما تقول، ماذا سنفعل إذاً سوف نتحمل.. قالتها ضاحكةً.

سامحك الله يا ابنتي سوف أزعل منك.

_ أنا أمزح يا أمي لا أكثر، لقد اشتقت لوجودك معنا في المنزل، الحمد لله على سلامتك يا عزيزة ابنتها.

_ حبيبتي يا نور، أدامك الله لي ووالدك أيضاً.

بقينا نتكلم فينا بيننا هكذا إلى أن ركبنا سيارة الأجرة واتّجهنا نحومنزلنا.

-١٦-

وصلنا شارع المنزل، ما زال كما هولم يختلف بأيّ شيء، جدران الشارع والمنازل ما زالت على حالها رغم مضي عشر سنوات على غيابي، وصلت أمام المنزل فبدأت الناس من حولي تنظر إليّ فمنهم من أهّل بي ومنهم من استطردني بنظراته، في هذه اللحظة تجاهلت كلّ من ينظر إلي وبدأت أتذكّر تلك الليلة المشؤومة التي انتحر فيها يزن وذلك عندما نظرت نحوباب منزل تلك المجنونة.. آآه صحيح تيم لقد نسيته تماماً.

_ آدم أين هوتيم، كيف حاله هل تعافى من الشلل.

_ ادخلي المنزل الآن ولنتكلّم في الداخل يا رغد هيّا.

كانت نور قد سبقتنا للداخل وبدأت بالترحيب بي مجدداً بداخل منزلي.

_ أهلاً بك يا سيدة، لقد أنرتي منزلك من جديد.. قالتها بطريقة أقرب للمزاح.

خطوت بقدماي لداخل المنزل، يا إلهي كلّ شيء على حاله،

أرض الديار والنافورة والكراسي المتواجدة من حولها وأشجار الياسمين والكرز والبرتقال والورد تملئ جدران المنزل على الداير.

ـ لم يتغيّر المنزل يا آدم، ما زال كما هو.

ـ أكنتي تتوقعي تغييراً في المنزل يا رغد، لم أحب قط تغيير أي شيء، لقد تركته كما كان بوجودك سابقاً كي أشعر بوجودك بجانبي طيلة فترة غيابك.

ـ آآه يا عزيزي، كم اشتقت لتلك الكلمات.

ـ ما زال لسانه كما هويا أمي، وأنت يا أبي أما زلت تهتم بالغزل.

ـ ولم لا يا نور، إن كنت تعتقدين بأنني كبرت على هذه الأمور فأنتي مخطأة فما زلنا أنا ووالدتك بعزّ شبابنا.

ـ بالطبع أنتم كذلك يا أبي، كم اشتقت لهذه الجمعة العائلية، هيّا يا أمي اذهبي واستحمي بماءً دافئ ريثما أحضّر طعام الغذاء.

ـ عزيزتي قد كبرت وصارت تحضّر طعاماً، حبيبة أمها.

اقتربت منها وعانقتها وبادلتني العناق أيضاً.

ـ ها.. صحيح ألم تخبروني عن وضع تيم، أين هوكيف حاله هل مازال يتلقّى العلاج المناسب يا آدم.

ـ ما رأيك بأن تستحمي وترتاحي أولاً ومن ثمّ نتحدث على

طعام الغذاء.

_ لماذا تحاولون تغيير الموضوع كلّما أتحدث عن تيم، هل أصابه مكروه وتخبئون الأمر عني.

_ كلّا يا أمي لم يصيبه أيّ مكروه، اسمعي كلام زوجك وهيّا إلى الحمّام في الحال ريثما أحضّر طعام الغذاء.

_ حسناً يبدوأنني لن أقدر عليكم أنتما الإثنان، أنا ذاهبة لأستحم.

بعد مضي نصف ساعة كنت قد استحميت وذهبت إلى غرفتي كي أجهزّ نفسي، أما نور وآدم كانا منشغلان في المطبخ لإعداد طعام الغذاء، عندما انتهيت من ارتداء ملابسي توجّهت نحوغرفة يزن وفي هذه اللحظة سمعت صوت طرق باب المنزل لكنني تجاهلته فهناك من يستطيع فتح الباب غيري، الآن هناك ما هوأهم من فتح الباب وهورؤية غرفة يزن، فتحت الباب ورحت انظر إليها

ما زالت على حالها، السرير في مكانه بجانب النافذة والخزانة في الطرف المقابل، وطاولته الدراسية في مكانها، اتّجهت نحوالخزانة وفتحتها ببطئ، جميع ملابسه هنا التقطت قميصه وعانقته وفي هذه اللحظة بدأت أتذكّر كل الأحداث السابقة التي جرت مع يزن، تذكّرت معاناته والمنظر الذي كان يسبح فيه بدماؤه، قاطعني آدم عندما سمعته يناديني من الأسفل.

_ رغد هيّا يا عزيزتي فطعام الغذاء جاهز.

ارجعت قميص يزن إلى الخزانة ومسحت دموعي ومن ثمّ نزلت إلى أرض الديار فتفاجئت بوجود رجلاً بجانب نور وآدم ينظر إليّ بغرابة فاتّجه نحوي وأمسك يدي وقبّلها فتوترت كثيراً وسحبت يدي.

_ الحمد لله على سلامتك ألم تعرفينني يا خالة، أنا تيم صديق يزن.

انصدمت عندما عرّف عن نفسه بأنه تيم، فاقتربت منه وعانقته.

_ تيم عزيزي، لقد اشتقت إليك، فرحت جداً لشفاوك منذ متى وأنت تمشي يا تيم.. لقد كبرت جداً أصبحت رجلاً طويل القامة لم استطع التعرّف إليك للوهلة الأولى.

_ وانا اشتقت إليك يا خالة، لقد مرّت سنوات طويلة، عندما سمعت رجوعك من المارّة في الشارع جئت على الفور كي أراكِ، و بدأت المشي بعد ثلاث سنوات من العلاج وها أنا الآن واقفٌ أمامك.

_ الحمد لله على سلامتك يا تيم فليحفظك الله.

قاطعتنا نور أثناء حديثنا.

ـ ما رأيك بإكمال الحديث فيما بعد فالطعام على وشك أن يبرد.

تناولنا جميعاً طعام الغذاء، منذ سنوات طويلة لم أتذوق مثل هذا الطعام، عندما انتهينا توجّهنا نحوالنافورة وجلسنا بجانبها نحستي القهوة.

ـ لدّي ما أقوله لك يا خالة هل تسمحين لي.

ـ بالطبع يا عزيز خالتك، تفضّل.

ـ في البداية أنا مدين لكِ باعتذار بسبب الذنب الذي اقترفته أمي، وفي نفس الوقت أنا مدينٌ لكِ لأنك خلصتني من عذاب كبير، من الممكن أن تتفاجئوا جميعاً بكلامي هذا، أنا لست غاضباً منك بما فعلته بأمي ففي النهاية لقد استحقت ذلك، لطالما تمنيت فراقها بسبب ظلمها الكبير لي، اعتقد أنني أخبرتك بما كانت تفعله معي عندما كنت تزورينني في المستشفى، طوال فترة مكوثي معها في المنزل لم أشعر بقط بحنان الأم وخوفها على ولدها، بل العكس، دائماً ما كانت تقتلني وتعذبني وتحرمني من الأشياء التي أحبها. لا أعلم السبب لمعاملتها معي في هذه الطريقة، لكنني لطالما فكّرت بالهروب من المنزل منذ صغري، وهذا ما كان يعكس أسلوبي في المدرسة في الِصغر، كنت أفرّغ الطاقة السلبية التي تعطيني إياها أمي على طلّاب المدرسة، أرجوا أن تسامحينني أنا خجلٌ جداً من

فعلتها، وحزنت جداً عندما أخبرني العم آدم ونور بجميع الأحداث وبخسارة يزن، حزنت جداً على وفاته ولطالما ذهبت لزيارته.

في هذه اللحظة لم أجد كلاماً مناسباً لما قاله، حزنت جداً لأنه قد ذكّرني بالماضي وفي نفس الوقت توقّعت منه أن يكرهني لأنني كنت السبب في موت والدته.

_ لا، لا ذنب لك يا بُني، لطالما افتكرت أنك ستكرهني بما فعلته بوالدتك، كلّ شخص قد أخذ نصيبه في هذه الدنيا وأنا قد عوقبت على فعلتي، آسفة يا عزيزي لكنّي كنت مجبورة على فعل ذلك، فوالدتك قد حرقت قلبي على وحيدي يزن.

_ أتتوقعين مني أن أكرهك وأنتي من حررني من تلك الحياة السوداوية، أنا لست حزيناً على الإطلاق على العكس تماماً فأنا سعيد جداً لوجود أم حنونة وطيبة القلب بجانبي الآن.

_ آآه يا تيم، فليحفظكم الله لي جميعاً، اخبرني إذاً، أما زلت تعيش في منزلك.

_ وأين من الممكن أن أذهب يا خالة فليس لديّ مكان آخر، ما زلت أمكث في المنزل لوحدي، لكنّ عمي آدم يصرّ على تناولي الطعام هنا بشكل دائم، آتي لتناول الطعام وأنام في منزلي.

_ لديك هذا المنزل يا تيم، هذا منزلك أيضاً ولقد عاهدت نفسي

أمام الله تلك الليلة بأن أرعاك، ألم تتزوج بعد.

ـ لا لم أتزوج يا خالة ، ولا استطيع المكوث هنا يا خالة، ففي النهاية أنا غريبٌ عنكم، و...

تعلثم في الكلام قليلاً وفهمت قصده.

ـ لا تكمل يا عزيزي لقد فهمت قصدك، بالنسبة لنور لن تبقى غريبةٌ بالنسبة إليك.

ـ ماذا تقصدين بذلك يا رغد.. نطق آدم.

ـ لأنني سوف أزوجهم من بعض.

كان يبدوعلى نور السعادة في هذه اللحظة عندما سمعت قراري على عكس تيم، لقد أحمرّ وجهه كثيراً، فهمت من ابتسامة نور أنها متيّمةً به.

ـ حسناً هذا جيّد لدينا مشروع زواج إذاً.. آدم قائلاً.

ـ انتظر قليلاً يا عزيزي آدم فلنستشير الأولاد أولاً، ما رأيكم أيها الأولاد هل أنتم موافقون.

رفع تيم نظره نحونور ورآها مبتسمةً وخَجِلة فاتّجه بنظره نحوي وأجاب.

ـ موافقٌ.. قالها بخجل.

ـ وأنتي يا نور هل موافقة على زواجك من تيم.

ـ موافقة يا أمي.

الآن قد ارتحت نفسياً، سأزوج ابنتي لأكثر شاب قد أحببته واعتبرته بمثابة يزن، أتمنى أن تنعمون بحياة زوجية سعيدة وأن يرزقكم الله أطفالاً صالحون، ليت يزن كان موجوداً بيننا ليرى صديقه وأخته وهم يتزوجان لكاد قد فرح كثيراً.

علينا ألّا نتسرّع في أفعالنا لأنها ستكلّفنا الكثير، بل يجب أن ننفذ كلّ خطوة بعد تفكير عميق قد تمت دراسته جيداً وإلا سوف نندم كما ندمت أنا حينما وقفت بجانب تيم يوم أخبرنا والدتها بأن يزن قد دفعه من على الدرج وقمنا بالاعتذار لها فقط لكي أنهي المشاكل بيننا، لكنّي لست على علم بأن فعلتي وقراري هذا الذي اتخذته بدون تفكير قد أدّى إلى خسارة ابني الوحيد، ولم أكن علم بأن تلك المرأة سوف تؤذي يزن، علينا ألا نأمن لأي شخص في هذه الحياة فلسنا على علم بنيّة من نقابله وما يخفيه بداخله تجاهنا، تعلمت من هذه التجربة بأنه يجب علينا أن نقف دائماً بجانب أولادنا حتى وإن كانوا على خطأ، فلنعاتبهم في المنزل ونوعّيهم على أفعالهم الخاطئة، ليس كما فعلت أنا مع يزن لقد وقفت ضدّه أمام تلك المرأة وبظنّي أنني أحمي يزن لكنني كنت مخطئةً تماماً، أنا نادمةٌ جداً لطالما اتهمت

نفسي في سبب موت يزن، سأظلّ أحمل هذا العبء بداخلي طيلة حياتي، فليسامحني الله على ما اقترفت من ذنوب.

-تمت -